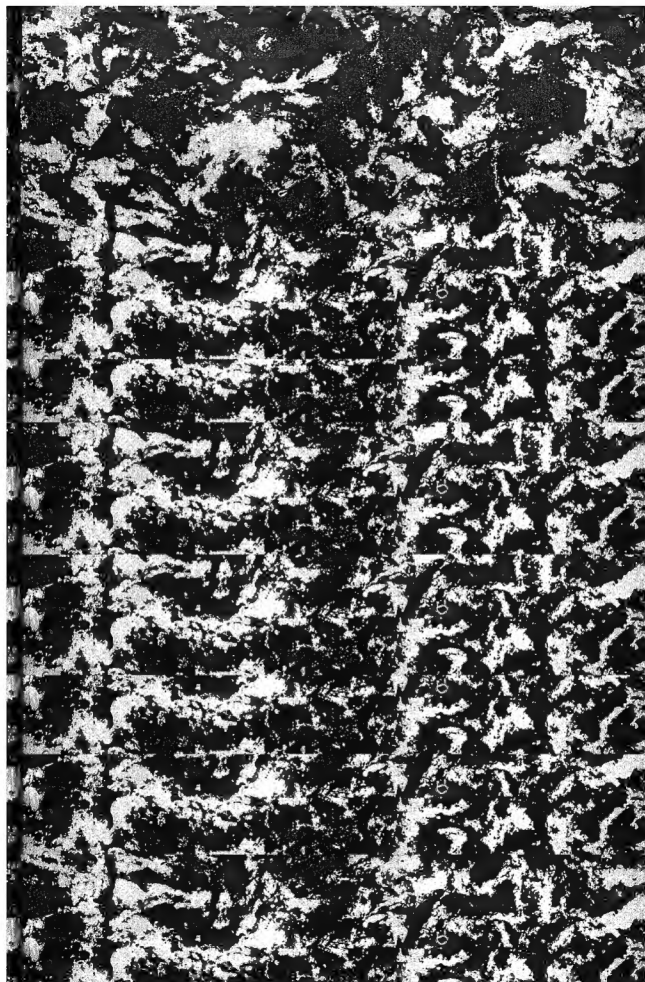


عبد الله شقرون

رياضيات

عبد الرحمن المجدوب

عبر الأثير











عبدالله شقرون

رباعيات

عبد الرحمن المجدلوي

عبر الأشير





رُبَّاعِيَّاتُ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُجَنَّدِ  
عَبْدِ الْأَشْيَرِ

عبد الله شقرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَصَلِّ مُسْتَخْرَجَةً مِنْ كِتَابِ الْمُؤَلَّفِ :

الْأَدَبُ الشَّعْبِيُّ عَلَى أَمْوَاجِ الإِذَاعَةِ

الصادر في

مَنْشُورَاتِ اتِّحَادِ إِذَاعَاتِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ

تونس 1987

« الرُّبَاعِيَّاتُ » ، التي تُغْنِينَا هُنَا مَا هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا سِوَى  
نَمَازِجٍ مِمَّا قَدَّمْنَاهُ عَلَى أَمْوَاجِ الإِذَاعَةِ ، وَكَانَتْ مَوْجَّهَةً ، حِينَئِذٍ ،  
إِلَى جُمْهُورٍ مَتَعَوِّدٍ نَسَبِيًّا عَلَى الاسْتِمَاعِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الدَّارِجَةِ  
وَفَرَائِدِهَا الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا صَاحِبُهَا فِي نَظْمِهِ . وَلِهَذَا يَتَعَيَّنُ ،  
وَالْحَالَةَ هَذِهِ ، الْقِيَامُ بِشَرْحِ بَعْضِ مَا قَدْ تَدَعَوُ الضَّرُورَةُ إِلَى  
شَرْحِهِ .

وَقَدْ تَكُونُ « الرُّبَاعِيَّاتُ » مَلَبِئَةً بِالْجَمْرِ وَالْمَوَاعِظِ  
وَالنَّأْمَلَاتِ ، كَمَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَنَاوَلَ مَوْضُوعًا غَرَامِيًّا . لَكِنْ مَجْمُوعَةٌ  
الشَّاعِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْنُوبِ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا عَلَى أَمْوَاجِ الإِذَاعَةِ  
وَنَنْشُرُهَا تُعْتَبَرُ فِي مُجْمَلِهَا مِنَ النُّوعِ الَّذِي يُخَاطِبُ الْفِكَرَ  
وَالْعَقْلَ ...

## الرُّبَاعِيَّاتُ ، مَا هِيَ ؟

« الرُّبَاعِيَّاتُ » جَمْعٌ لِرُبْعٍ هُوَ « الرُّبَاعِيَّ » .

و« الرُّبَاعِيَّ » عِبَارَةٌ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْطَارٍ يَتَكُونُ مِنْهَا مَقْطَعٌ مُنْظُومٌ وَمُتَكَامِلٌ فِي مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْأَشْطَارُ فِيمَا بَيْنَهَا بَيِّنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ ...

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ أَيْضًا « الرُّبَاعِيَّةُ » - بِالْمُؤَنَّثِ - بَدَلًا عَنْ « الرُّبَاعِيَّ » - بِالْمَذَكَّرِ - .

وَلَعَلَّ أَشْهَرَ رُبَاعِيَّاتٍ « فِي الْأَدَبِ هِيَ » رُبَاعِيَّاتُ « الشَّاعِرِ الْمُفَكِّرِ عُمَرَ الْخَيَّامِ الَّذِي عَاشَ فِيمَا بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ . وَقَدْ نَقَلَهَا أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، مِنْ لَفْظِهَا الْأَصْلِيَّةِ ، الْفَارْسِيَّةِ ، إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، كَمَا نَقَلْتُ إِلَى عَدِيدٍ مِنَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ .

فَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْأَدَبِ الرَّفِيعِ قَدْ عَرَفَهُ أَيْضًا الْأَدَبُ الشُّعْبِيُّ بِلِ وَاعْرِفَهُ مُبْتَكِرًا أَصِيلًا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الدَّارِجَةِ ، وَتَنَاقَلَهُ الْأَبَاءُ عَنْ أَجْدَادِهِمْ خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ مُثْمَلًا بِالْخُصُوصِ فِي « رُبَاعِيَّاتِ » الْحَكِيمِ النَّاقِدِ السَّاجِرِ وَالشَّاعِرِ الْجَوَّالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ ... وَقَدْ اشتهرَ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ فِي رُبُوعِ مَنْطِقَةِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ ، مِنَ الْمَغْرِبِ - مَوْطِنِهِ - إِلَى الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ ، وَعَلَى مَدَى عِدِيدِ السَّنِينَ مُنْذُ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ إِلَى الْيَوْمِ .

## قَرْجَمَة :

الْعَامَّةُ تَدْعُوهُ بِـ سَيْدِي عَيْدِ الرُّحْمَنِ الْمَجْذُوبِ . وَكَلِمَةُ « سَيْدِي » فِي الْمَغْرِبِ لَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْأَشْرَافِ الَّذِينَ يَرْتَقِي نَسَبُهُمْ إِلَى ذُرِّيَّةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ . وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يُلْحَقُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَذَا النِّسَبِ وَيَتَشَبَّهُ بِهِ . وَمَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَغْرِبِ مُحِبًّا وَمَوْلِدًا وَنَشَأَةً وَتَعَلُّمًا ، إِلَّا أَنَّهُ ، فِي هَذَا الصَّدَدِ ، يَقُولُ إِنَّ أُجْدَادَهُ الْأَشْرَافَ - أَوْ الشُّرَفَاءَ - قَدِ انْحَدَرُوا مِنْ تُونِسَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَإِنِّي ذَلِكَ يَقُولُ :

أَصْلِي مِنْ تُونِسَ الْخُسْرَا \* وَاللِّيْ عُنْدَهُ نَسَبٌ يَنْوُزُ غَلِيهِ  
إِنَّا وَلَدَ شَاطِئِهِ الرُّمْلَا \* وَالصَّالِبُ لِنَسَبِ اللَّهِ غَلِيهِ

أَمَّا مَوْلَاهُ فَقَدْ كَانَ فِي بَلَدَةٍ طَاطِطٍ الَّتِي لَيْسَتْ بِعَبِيدَةٍ عَنْ مَدِينَتِي  
أَرْمُورِ الْبَرِيحَةِ ( الْجَدِيدَةِ ) فِي الْمَغْرِبِ . وَإِنِّي هَذَا الْمَضْمَارِ  
يَقُولُ :

جَيْتُ مَنْ طَاطِطٌ بِالْمَجْجَلَةِ \* وَالْفَرْزُ زَانِبِي شَطْلَانِي  
الْحُبْنُزُ نَحْلُهُ الْبَحْصُ \* عَلَاشَ يَا طَالِبُ ذَا الْقَرَابَةِ

وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّهُ انْتَقَلَ عَنْ عَجَلٍ وَإِنِّي سَنٌ مُبَكَّرَةٌ مِنْ بَلَدَةٍ طَاطِطٍ  
إِلَى مَدِينَةٍ مَكْنَسِ رُفْقَةٍ وَالِدِهِ - وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ جِينَنِي إِذْ أُبْعِرَ  
سَنَوَاتٍ - وَإِذَا عَلِمْنَا أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ دَرَسَ عَلَى الْخُبَّابَةِ مِنْ فُقَهَائِهَا  
وَمُدَرِّسِيهَا ، وَتَفَتَّحَتْ قَرِيحَتُهُ فِي الشُّعْرِ وَالتَّوْجِيهِ وَهُوَ طَالِبٌ ،  
أَدْرَكْنَا مَقْهُومَ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّبِيِّتِ الْأَوَّلِ فِي ذَلِكَ الرُّبَاعِي :  
« جَيْتُ مَنْ طَاطِطٌ بِالْمَجْجَلَةِ » ، أَي عَنْ عَجَلٍ . لَكِنَّهُ ، عَلَى مَا  
يَبْدُو ، لَمْ يَلْقَ ، هُنَاكَ ، فِي عَمَلِهِ التَّوْجِيهِ وَالتَّوَعُّوِي إِلَّا التَّعَبَ

الَّذِي زَادَهُ يُوسَى وَمَشَقَّةٌ - شَغْلَانِيهِ - إِلَى جَانِبِ انْغِيَاءِ الدُّرْسِ  
وَالْتَحْصِيلِ وَمُوَاجَهَةِ الْحَيَاةِ - وَكَلِمَةُ « شَغْلَانِيهِ » هَذِهِ قَدْ تَفِيدُ  
هُنَا مَقْهُومَ الْمَشَقَّةِ وَالْيُوسَى وَالتَّعَبِ . ثُمَّ إِنَّهُ يَرْمِزُ إِلَى مَا يُفِيدُ أَنَّ  
الرَّزْمَ قَدْ فَسَدَ جَيِّنِيذٌ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَغْيِيرِهِ : « الْخُبْرَ دَخَلَهُ  
الْجَبَسُ » . وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَتَصَوَّرَ خَيْرًا اخْتَلَطَ بِالنُّرَابِ وَغُبَارِ  
الْجَبَسِ ... وَيَبْدُو كَذَلِكَ أَنَّهُ أَصْبَحَ إِذْ ذَاكَ لَا يَسْمَعُ مِنْ مُعَاصِرِيهِ  
إِلَّا التَّنْبِيْطَ بَلْوِ التَّنْبِيْطِ ، وَكَأَنَّهُمْ جَمِيعًا يَقُولُونَ لَهُ : لَا تَتَعَبْ  
نَفْسَكَ مَعَنَا بِالْمَوْعِظَةِ وَالتَّوْجِيهِ أَتَيْهَا الطَّالِبُ : « غَلَّاشٌ يَاطْلُبُ  
ذَا الْقُرْآنِيَّةِ ؟ » . فَكَأَنَّمَا كَانَ ، وَالحَالَةُ تَكَ ، يَمَثُلُ دَاوُدُ الَّذِي  
كَانَ يَتَلَوَّرُ أَبْوَرَهُ وَلَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ .

وَانْتَقَلَ عَبْدُ الرَّؤْحَمَنِ الْمَجْنُوبُ إِلَى مَدِينَةِ هَلَسَ ، وَالتَّحَقَّقَ  
بِمَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ بِجَامِعِ الْقُرْوَيْنِ فِيهَا . وَقَدْ ظَلَّ وَفِيهَا  
كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الْوَفَاءُ لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ وَلِطَيْبِ ذِكْرَاهَا ، فَقَالَ عَنْهَا  
فِي رُبَاعِيٍّ مِنْ رُبَاعِيَّاتِهِ :

الطُّبَخُ وَالزُّنْخُ فِي هَلَسَ \* وَالْعِلْمُ وَالذِّينُ فِيهَا  
لَا غَيْبَ يَثْقُلُ فِي هَلَسَ \* مَحْمُولُهُ مَنْ كُلِّ جِيهَا

وَكَلِمَةُ « الزُّنْخُ » تَعْنِي الْأَشْجَارَ الْمُتَجَمِّعَةَ وَالْمُلْتَقَةَ فِيمَا  
بَيْنَهَا . أَمَّا تَعْبِيرُ « مَنْ كُلِّ جِيهَا » فَيَعْنِي « مِنْ كُلِّ جِهَةٍ » ، أَيْ  
إِنْ مَدِينَةُ هَلَسَ ، كَمَا يَقُولُ ، قَدْ جَمَعَتْ شَيْئًا مِنَ الْحَاسِنِ وَالْمَرْئِيَّةِ .  
وَهُنَاكَ رُبَاعِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ لِهَذَا الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ تُسَجِّلُ مَرَاجِلَ  
مُتَعَدِّدَةً مِنْ تَارِيخِ حَيَاتِهِ ، وَتَتَجَلَّى عَبْرَهَا الْمَحْنُ وَالْأَهْوَالُ الَّتِي  
جَابَتْهَا فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الصُّعْبَةِ الَّتِي اجْتَازَهَا هَذَا الْجَنَاحُ الْقَرْيَبِيُّ  
مِنْ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ وَهُوَ يَوَاجُهُ تِلْكَ الْهَجْمَةُ الْاسْتِعْمَارِيَّةُ الْأُورُوبِيَّةُ  
عَلَى شِوَاهِطِهِ وَتَرَابِهِ ، فَفَتْرَةُ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ .

## المجذوب :

وَيَعْنِي بِإِدْيَاءِ ذِي بَدْءِ الْإِلْتِمَاعِ إِلَى لَفْظِ « الْمَجْذُوبِ » التَّثَنُّبُ فِي اسْمِ هَذَا الشَّاعِرِ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ قَدْ يَفْنِي مَفْهُومَ الشَّخْصِ الَّذِي « تَجَذَّبَهُ » الْأَنْغَامُ وَزَنَاتُ الطُّبُولِ وَالْمَزَاهِرِ ، فَيَتَرَفَّضُ بِرَأْسِهِ مُهْتَرِئًا ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ، وَمِنْ شِدَّةِ تَأَثُّرِهِ وَانْفِعَاسِهِ فِي حَالَةِ « الْجَذْبِ » هَذِهِ يَكَادُ يُخْرُجُ عَنْ وَعْيِهِ « مُتَحَيِّرًا » وَنَاطِقًا بِأَقْوَامٍ وَأَقْوَالٍ ...

وَلَا يَعْنِي لَفْظُ « الْمَجْذُوبِ » مَدْلُولُ الْمَجْنُونِ أَوْ الْمَخْبُولِ ، فَذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ .

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ عِنْدَ الرَّخْمَنِ الْمَجْذُوبِ هُوَ نَفْسُهُ مَا يُوضَعُ هَذَا الْبَيَانُ حَيْثُ قَالَ فِي رُبَاعِيٍّ مِنْ رُبَاعِيَّاتِهِ :

مَجْذُوبٌ مَا أَنَا مَجْنُونٌ \* عِزُّ الْأَخْوَالِ دَارَتْ بِسِي  
أَقْرَبَتْ فِي اللَّوْحِ الْخَفُوفِ \* وَالسَّبْقُ سَبَقَتْ لِسِي

إِنَّهُ لَيْسَ مَجْنُونًا ، مَعَاذَ اللَّهِ ، لَكِنَّهُ « مَجْذُوبٌ » . وَيُقَسَّرُ صِفَةُ « الْمَجْذُوبِ » هَذِهِ بِأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ حَصِيلَةُ التَّطَوُّرِ الَّذِي حَصَلَ لِفِكْرِهِ وَتَفَكُّيرِهِ ، وَأَنَّهُ هَبَّةٌ زَبَانِيَّةٌ ، وَ« سَبْقُهُ » فِي عِلْمِ اللَّهِ ... وَقَدْ تَفَتَّحَتْ تَأْمُلَاتُهُ عَلَى مَا لَمْ يَتَّحِ لِإِسْوَاهِ ... إِنَّهُ يَفْتَقِدُ أَنَّ « رُؤَاؤُهُ » الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا بَعْضُ أَقْوَالِهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُصَدَّرَ إِلَّا عَنْ شَخْصٍ قَرَأَ ، أَوْ كَأَنَّهُ قَرَأَ ، بَعْضَ مَا فِي الْغَيْبِ ، بَعْضَ مَا فِي اللَّوْحِ الْخَفُوفِ ... وَهَذَا كَلَامُ شَاعِرٍ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، كَلَامُ رَجُلٍ « مَجْذُوبٍ » ، رَقِيقِ الْحَاشِيَةِ ، مُزَفِّفِ الْمَشَاعِرِ ، اسْتَقْرَأَ تَجَارِبَ الْحَيَاةِ وَغَجَمَ عَوْدَهَا ...

بَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ نَسْتَعْرِضُ فِيمَا بَيْنَنَا دِيْوَانَ هَذَا الشَّاعِرِ  
الشَّعْبِيِّ الْحَكِيمِ تَحْلِيلًا وَتَقْلِيلًا جَهْدَ الْإِمْتِكَانِ ... وَقَدْ أَعَدْنَا  
الْكِتَابَةَ وَالتَّدْوِينَ لِمَا كُنَّا قَدْ مَنَاهُ فِي الْإِذَاعَةِ بِهَذَا الصَّدْرِ تَسْهِيلًا  
لِلْقِرَاءَةِ وَالتَّأَمُّلِ ...

## أَمَارَةُ الْكَذَابِ :

وَهَكَذَا فِيمَا اسْتَمَدَّهُ الْحَكِيمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبِ وَاسْتَفَاهُ وَاسْتَفَادَهُ  
مِنْ تَجَارِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ التَّمْيِيزُ الْفَاجِصُ بَيْنَ الشَّخْصِ الَّذِي يُرْجَى مِنْ  
تَصَرُّفَاتِهِ الْخَيْرُ وَيَبْدُو عَلَيْهِ الصَّدْقُ ، وَبَيْنَ سَيِّئَةِ النَّيَّةِ الْكَذَابِ الَّذِي يَعِدُ وَلَا  
يَفِي بِوَعْدِهِ ... يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ فِي هَذَا الصَّدْرِ :

الْأَجْوَادُ مَا يَقُولُوا : لَا لَا \* وَخَدِيئُهُمْ خُطَا وَضَوَابِ  
إِذَا قُلَّ لَكَ رُخٌ وَتَعَالَا \* هَذِيكَ مَارَةُ الْكَذَابِ  
إِنْ مَفْهُومَ هَذَا الرُّبَاعِيِّ وَاضِحٌ . وَمَذْلُولُهُ أَنَّ النَّاسَ الطَّيِّبِينَ - الْأَجْوَادَ -  
لَا يَرْتَفِضُونَ عَمَلَ الْخَيْرِ ، وَلَا يَرُدُّونَ طَلِبًا ... نَعَمْ ، إِنَّهُمْ قَدْ يُخْطِئُونَ ، لَكِنْ  
خَطَأُهُمْ يَكُونُ مَقْبُولًا لِأَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ حُسْنِ نِيَّةٍ ، وَلِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ الصُّوَابَ  
مِرَارًا . أَمَّا مَنْ يَعِدُ غَيْرَهُ بِقَوْلِهِ : إِذْهَبِ الْآنَ وَعُدْ إِلَيَّ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيُكْرِّرُ عَلَيْهِ  
نَفْسَ الْمَوْقِفِ ... فَإِنَّ تَصَرُّفَهُ أَمَارَةُ ( مَارَةَ ، فِي الدَّارِجِ ) ، أَيْ عَلَامَةً أَكِيدَةً  
عَلَى أَنَّهُ كَذَّابٌ أَثَرٌ وَلَا يُرْجَى مِنْهُ الْخَيْرُ !



## نَسِيَانُ الْجَمِيلِ :

رَبِّقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ :

أَقْبَضَ الْأَجْزَهُ قَبْلَ الدَّوَا \* وَاتْرَكَ عَلَيْكَ خَدِيثَ الْهَوَى  
الْمَرِيضِ زَاهٍ إِذَا بَرَا \* يَنْسَى خَيْرُ الْمَذَاوِي  
بِخِلَافِ مَا يَقُولُهُ الْمَثَلُ الْعَامِّيُّ مِنْ أَنَّ « تَسْبِيْقُ الْأَجْزَهُ مِنْ تَبْطُلُ الْعَمَلُ »  
فَإِنَّ هَذَا الْحَكِيمَ ، وَبِنَاءً عَلَى تَجَرِبَتِهِ فِي الْمَعَاشَرَةِ ، يَرَى أَنَّ النَّاسَ سَرْعَانَ مَا  
يَنْسَوْنَ الْجَمِيلَ الَّذِي يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ ، وَيَتَنَكَّرُونَ حَتَّى لِلشَّخْصِ الَّذِي صَنَعَ  
الْمَعْرُوفَ مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الشَّيْخَ الْحَكِيمَ يَأْمُرُ - فِي كُلِّ حَالَةٍ - بِقَبْضِ  
الْمُقَابِلِ مُسَبِّقًا وَيَعْدِمُ الْإِخْلَادَ لِلْكَلَامِ الْمَعْسُولِ ... الْفَارِغِ ( خَدِيثُ  
لَهْوَى ) .... وَلَقَدْ هَذِهِ نَصِيحَةٌ إِلَى « الْأَطِبَّاءِ » مِنْ كُلِّ صِنْفٍ !

## الْتَرْتَرَةُ وَالصَّمْت :

وَلَفْظُ « الدَّوَايِ » فِي الْعَرَبِيَّةِ الدَّارِجَةُ يَعْني « التَّرْتَارُ » . وَفِي اللَّفْظِ  
الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى يُفِيدُ فِعْلَ دَوَى مَعْنَى سَمِعَ لَهُ صَوْتُ مَدْوِيٍّ ، وَغَالِبًا مَا  
يُخْتَصُّ بِالرَّعْدِ ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ « الْهَذَارُ » مِنْ فِعْلِ هَذَرَ ، أَيِ صَوْتٍ - فِي نَفْسِ  
الدَّارِجَةِ - فَإِنَّهُ يَعْني مَفْهُومَ « التَّرْتَارِ » عِلْمًا بِأَنَّ صِيغَةَ الْمُبَالَغَةِ « هَذَارُ »  
تَلْتَصِقُ بِالرَّعْدِ أَيْضًا ، فَيُقَالُ : رَعَدَ هَذَارُ ، أَيِ شَدِيدُ التَّصَوُّيْتِ ... وَقَدْ  
اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ هَذَا اللَّفْظَ وَذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَى أَنَّ « كُلَّ  
دَوَايِ » أَوْ « كُلِّ هَذَارٍ » مَسْشُوسٌ ، أَيِ نَاقِصٌ مِلْحًا وَبِالْتَّالِي تَقِيلُ الظَّلَّ ، وَذَلِكَ  
فِي الرَّبَاعِيِّ التَّالِي :

كُلُّ هَذَارٍ مَسْشُوسٌ \* نَجِيبُ الْهَلِيكَةِ لِرَأْسِهِ

وَيَسْتَهْلُ ضَرْبَهُ بِمُوس \* حَتَّى يَبْأَثُوا اضْرَاسَهُ  
وَالْمَذْلُولُ الْعَامُ لِذَلِكَ الرُّبَاعِيَّ أَنَّ الثَّرْثَارَ يَتَسَبَّبُ لِنَفْسِهِ فِي الْهَلَاكِ ،  
وَيَسْتَحِقُّ شَدِيدَ الْعِقَابِ : يَسْتَحِقُّ أَنْ يُضْرَبَ بِمِذْيَةِ ( بِمُوس ) حَتَّى تَبْدُو  
ضُرُوسُهُ ...

وَمَا دَامَ الْبَلَاءُ مُوَكَّلًا بِالْمُنْطِقِ فَإِنَّ هَذَا الْحَكِيمَ يَقُولُ فِي رُبَاعِيٍّ آخَرِ :

الصُّنْتِ حَنْمَةٌ \* وَمَنْهُ تَنْفَرُقُ الْخَوَاتِمُ  
لَوْ مَا نَطَقَ وَلَدُ الْيَمَامَةِ \* مَا يَجِبُهُ وَيُلِيدُ الْحَنْشُ هَلِيمَ  
الْيَمَامَةِ هِيَ الْحَمَامَةُ الْبَرِّيَّةُ ... وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْيَمَامَةَ الصَّغِيرَةَ كَثِيرَةُ  
التَّصَوُّبِ ، وَلَوْلَا تَصَوُّبُهَا هَذَا مَا كَانَ الْحَنْشُ الصَّغِيرُ - الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ -  
لِيَسْمَعَهَا وَيَأْتِيَهَا لِيَقْصِدَهَا وَهِيَ فِي عُشِّهَا جَائِعَةٌ فَيَلْتَمِسُهَا التِّهَامُ ... وَكَمَا  
يَقُولُ الْمُثَلُّ الشَّعْبِيُّ : « الْفَمُ الْمَسْدُودُ مَا تَدْخُلُ لَهُ ذُبَابُهُ » ... إِنَّ الصُّنْتَ  
حِكْمَةٌ وَمِنْهُ وَغْنَةٌ تَتَوَالَدُ شَتَّى الْحِكْمِ وَالْمَزَايَا .

وَبِالْتَّوْحِيصِ بِالصُّنْتِ وَمَذْجِهِ يَصِفُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ الصُّنْتَ بِأَنَّهُ  
« ذَهَبٌ مُشْحَرٌ » ، أَيِ ذَهَبٌ خَالِصٌ وَدَفِيعُ الْقِيَمَةِ ، وَيَأْنُ الْأَسْلَمَ لِلْإِنْسَانِ هُوَ  
كَتَمَانِ الْأَسْرَارِ وَعَدَمِ الدُّخُولِ فِي الْفُضُولِ ، وَالتِّزَامِ الْجَهْلِ بِمَا قَدْ يَكُونُ عَلَى  
بَالِهِ فِي هَذَا الصُّدَدِ :

الصُّنْتِ ذَهَبٌ مُشْحَرٌ \* وَالْخَلَامُ يَفْسُدُ الْمَسْأَلَةُ  
إِذَا شَفَّتْ لَا تَخْبِرُ \* وَإِذَا سَأَلُوكَ قُلْ : لَا لَاهُ  
وَيَصِفُ هَذَا الشَّاعِرُ الثَّرْثَرَةَ بِلَا مَعْنَى وَلَا رَأْسٍ وَلَا ذَنْبٍ ( الْهَذْرَةُ ) ، أَيِ  
الْكَلَامِ الْفَارِغِ ، بِأَنَّهُا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي خَافِيًا مُعْرِضًا قَدَمَيْهِ وَنَفْسَهُ لِكُلِّ أَدَى ،  
كَمَا أَنَّ النُّطْقَ فِي الْفَرَاغِ إِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ شَبِيهُ بِالْمُبَالَغَةِ فِي الشَّرْبِ عَلَى الطَّوْلِ ،

عَلَى الْجُوع ... وَهَذِهِ مِنْهُ حِكْمَةٌ أُخْرَى فِي تَجَنُّبِ التَّرْتُّبَةِ وَالْقِيلِ وَالْقَالِ مِنْ  
غَيْرِ ذَا عِلَّةٍ وَلَا مُوجِبٍ :

الْهَذَرَةُ بِلَا مَفْنَى \* كَالِي يَفْشِي بِأَخْفَا  
وَالنُّطْقُ عَلَى الْهَوَا \* كَالِي يَشْرَبُ عَلَى الْخَوَا

### الْأَرْجُوحَةُ :

وَيَنْدَمِجُ الشَّاعِرُ الشَّعْبِيُّ الْحَكِيمُ أَدِيمًا كُلِّيًّا فِي الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ . وَبَيْنَهُمَا  
تَكُنْ صُعُوبَةٌ فَهَمٌّ بَعْضُ الْمَفْرَدَاتِ وَالْأَلْفَاظِ وَالْجُمَلِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْتَمْعَاتِ  
وَالْمُسْتَمِعِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مُتَعَوِّدِينَ عَلَى سَمَاعِ تَرَاكِيِبِهَا وَخَاصَّةً مِنْ خِلَالِ  
الِإِذَاعَةِ ، فَإِنَّ كَلَامَ هَذَا الشَّاعِرِ بَسِيطٌ فِي مَظْهَرِهِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ ، لَكِنَّهُ فِي جَمِيعِ  
الْأَحْوَالِ غَمِيقٌ ... وَعَمَلِيٌّ ...

فَلْنَنْظُرْ ، مَثَلًا ، فِي مَوْقِفِهِ مِنْ « النَّاعِرِ » . وَهَذَا اللَّفْظُ - النَّاعِرُ - يَعْنِي فِي  
الدَّارِجَةِ الْعَامَّةِ الشَّخْصَ الْمُتَقَلِّبَ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ ... أَيْ صَاحِبَ  
« النَّوَاعِرِ » ، وَهِيَ الْأَرْجُوحَاتُ الْمَعْرُوفَةُ بِتَقَلُّبِهَا . وَمَذْلُولُ « النَّاعِرِ » أَيْضًا  
هُوَ الشَّخْصُ السَّرِيعُ الْغَضَبِ تَعَامًا كَمَا تُسْرِعُ النَّوَاعِرُ - الْأَرْجُوحَاتُ - فِي  
حَرَكَتِهَا . إِنَّ الْحَكِيمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبَ يُحْذَرُ مِنْ مُعَاشَرَةِ « النَّاعِرِ » ،  
كَمَا يُوصِي بَعْدَمِ الضُّحِكِ عَلَى الْأَصْحَابِ أَوْ السُّخْرِيَةِ بِهِمْ فِي الْمُعَامَلَاتِ :

الصَّاحِبُ لَا تَلَاغِبُو \* وَالنَّاعِرُ لَا تُفَوْتُ غَلِيْلَهُ  
الَّذِي حَبُّكَ حَبُّو أَكْثَرُ \* وَالَّذِي بَاعَكَ لَا تُشْرِينَهُ

### الْخُلَاثِيُّ الْمَذْمُومُ :

إِنَّ الْمَرَأَةَ الَّتِي لَا تَقْتَرُ عَنِ الصَّبَاحِ وَالتَّشَكِّيِ وَالنَّوَاحِ ، وَالْبَهْرَةَ الَّتِي لَا

تَفْتَرُّ عَنِ الْخَوَارِ الْمَرْجِعِ صَبَاحَ مَسَاءَ ، وَالْكَلْبَةَ الَّتِي تَتَّبِعُ بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ  
وَتَقْلِقُ رَاحَةَ النَّاسِ : هَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ جَعَلَهَا الْحَكِيمُ الشَّاعِرُ - عَنْ  
تَجَرِبَةٍ وَمُلَاحَظَةٍ - فِي كِتَابِهِ وَاحِدَةً : إِنَّهَا جَمِيعًا لَا خَيْرَ فِيهَا ، وَلَا رَيْحَ يُرْجَى مِنْ  
وَزَائِبِهَا ، وَالْأَفْضَلُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا :

الْمَرْاهُ      النَّائِيَةُ \* وَالْبَقَرَةُ      الصَّائِيَةُ  
وَالْكَلْبَةُ      النَّائِيَةُ \* مَا فِيهِمْ مَزَاجُهُ  
الْأُخُوَّةُ :

وَتَقْدِيرُهَا لِلْأُخُوَّةِ وَمَتَانَتُهَا بَيْنَ الْأَخَوَاتِ وَالْإِخْوَةِ أَبْنَاءِ الْأُمِّ يَرَى ذَلِكَ  
الْحَكِيمُ أَنَّ هَذِهِ الْأُخُوَّةَ أَقْوَى مِنْ أَيْةٍ رَابِطَةٍ عَائِلِيَّةٍ كَيْفَمَا كَانَتْ . فَلَا الْخُزُولُ  
وَلَا الْعُصُومَةُ أَوْ سِوَاهُمَا تُعْتَبَرُ فِي مَنْزِلَةِ قُوَّةِ التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ الَّتِي عَلَيْهَا  
الْأُخُوَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ ... لَقَدْ نَادَى عَلَى الْخَالِ ( عَيْطُط ) وَعَلَى الْعَمِّ ... فَمَا  
أَزْدَادَ مِنْهُمَا إِلَّا هُمَا وَكَمَدَا ، وَنَادَى عَلَى أَخِيهِ ابْنِ أُمِّهِ ( خُوْيَا ) فَقَطَعَ الْبَحَارَ  
وَاجْتَارَ الْأَهْوَالَ وَالْمَسَافَاتِ لِأَجْلِ الْقُدُومِ وَالِاسْتِجَابَةِ لِنِدَائِهِ :

عَيْطُطُ عَلَى خَالِي خُوَانِي \* عَيْطُطُ عَلَى عَمِّي عَمَّانِي  
عَيْطُطُ عَلَى خُوْيَا ابْنِ أُمِّي \* قَطَعَ الْبُحُورَ وَجَانِي

الْبَيْشَاشَةُ :

وَيُوجِي فِي جُكَّةٍ أُخْرَى ، فِي رُبَاعِيٍّ آخَرَ ، بِحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ الَّتِي قَوَّامُهَا  
حُسْنُ الْجَوَارِ بِشَتَّى مَعَانِيهِ . فَإِذَا كَانَ مَحْكُومًا عَلَيْكَ أَنْ تُعَاشِرَ أَحَدًا وَتُصَبِّحَ  
عَلَيْهِ دَوْمًا - تُصَابِحُو - فَمَا عَلَيْكَ سِوَى السَّيْرِ بِالْحُسْنَى مَعَ هَذَا الْخَلْقِ ...  
مَعَ هَذَا الْوَجْهِ . هَيَّاكَ ثُمَّ إِنَّاكَ أَنْ تُقَابِحَهُ ، أَيْ بِكَلَامٍ فِي فَصِيحِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

– أَنْ تُشَاتِمَهُ – مَا تُقَابِخُو –... وَعَلَيْكَ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ عُثْوَانُ  
حَيَاتِكَ : وَإِيَّاكَ وَالْفِلْظَةَ أَوْ الصِّلَفَ مَعَهُ :

الْوَجْهَ الَّذِي تَضْمَنْخُو \* مَا تُقَابِخُو  
وَالْوَجْهَ الَّذِي تَهْتَخِيَا بِهِ \* قَبْلَ  
الْمَالِ وَالْجَاهِ :

نَعَمْ ، لَقَدْ اخْتَلَّ الشَّاعِرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ بِوَسْطِهِ اخْتِكَامًا مُبَاشِرًا ،  
وَعَرَفَ النَّاسَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ فِي زَمَنِهِ ، وَعَجَمَ عُودَهُمْ فِي أَنْهَاءِ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ  
الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ : فِي تُونِسَ كَمَا فِي الْجَزَائِرِ ، وَفِي الْمَغْرِبِ ، مُوْطِنِهِ ، طَوْلَا  
وَعَرُضًا ... وَأَتَاخَتْ لَهُ فُرْصَةُ الْحَجِّ تَمْدِيدَ تَجْوَالِهِ فِي الْبُلْدَانِ وَمَعْرِفَةَ فَنَائِ  
شَتَّى مِنَ الْعِبَادِ ، وَهُوَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفُ الرَّاهِدُ ، وَالشَّاعِرُ النَّابِغُ ، وَالْفَقِيرُ  
الْمُتَعَفِّفُ ، وَالْمُحْتَاجُ دَوْمًا ، وَفِي حَيَاةٍ ، إِلَى مُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ ... فَكَانَ مِنْ  
نَتِيجَةِ تَجَارِبِهِ هَذِهِ مَا ظَلَّ مُسَطَّرًا مُتَجَلِّيًا فِي ثَنَائَا رَبَاعِيَّاتِهِ ، نَاطِقًا بِالْحَقِيقَةِ  
الْبَشَرِيَّةِ وَبَوَاقِعِ الْحَيَاةِ وَلَا سَيِّمًا إِزَاءَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَنِفَاقِ الْمُجْتَمَعِ ... إِلَى  
دَرَجَةٍ أَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْمَالَ قِوَامُ كُلِّ أَخْلَاقٍ الْمُجْتَمَعِ ...

إِنَّ الْبَنَاتِ مَهْمَا كَانَتْ مُيُولَهُنَّ فَإِنَّ أَكْبَرَ مَثَلٍ لَهُنَّ ، أَيْ أَغْظَمَ حُبٍّ لَهُنَّ ،  
إِنَّمَا هُوَ نَحْوُ الْمَالِ ، وَبِالْتَّالِي لِنَ عِنْدَهُ الْمَالُ ... فَنَقُولُ :

الْمَالُ يَا الْمَالُ \* يَلُؤُ الْبَنَاتُ مَالًا  
وَالَّذِي مَا عِنْدُوهُي الْمَالُ \* مَا يَفْعَلُ حَتَّى تَحْلُبِي بِحَالُو  
وَلَفْظَةُ « يَلُؤُ » تَعْنِي « إِلَيْهِ » أَوْ « نَحْوَهُ » ، أَيْ « إِنَّ الْمَالَ إِلَيْهِ » ( أَوْ  
نَحْوَهُ ) الْبَنَاتُ مِلْبَنٌ . أَمَّا كَلِمَةُ « يَحْلُبُو » فَتَعْنِي « مِثْلَهُ » أَيْ « حَتَّى كَلْبِي لَا  
يَفْعَلُ » مِثْلَهُ ، أَيْ مِثْلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ

وَعَلَى نَفْسٍ هَذَا النَّسَقِ مِنَ التَّأَمُّلِ يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ عَنْ نَظَرَةِ  
الْمُجْتَمَعِ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَلَا يَمْلِكُ شَرْقَى نَعِيرٍ ، وَهُوَ يَدْعُو هَذِهِ  
الْحَالَةَ بِـ « قَلَّةِ الشَّيْءِ » ، وَهِيَ تَغْنِي أَنْعِدَامَ الْمَالِ تَمَامًا ، أَيْ الْفَقْرَ الْمُدْقِعَ ،  
وَيَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ تَنْخَرُ الْعِظَامَ وَتَهْدِمُ الْكَرَامَةَ ، وَيُعْبَرُ عَنْ ذَلِكَ بِـ « قَلَّةِ  
الشَّيْءِ ثَرَشِي » ، بِحَيْثُ تَحْمِلُ صَاحِبُهَا أَوْ الْمُتَصِفُ بِهَا عَلَى الْإِنْتِزَاءِ وَالْإِيتِغَادِ  
عَنِ الْجَمَاعَةِ ، جَمَاعَةِ ذَوِي الْجَاهِ ، جَمَاعَةِ الْمُجْتَمَعِ ... وَذَلِكَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ  
رُبَاعِيَةُ الثَّالِي :

ضَرَبْتُ حَفِي بِحَفِي \* وَخُمْتُ فَاَلْأَرْضِ سَاعَةً  
صَبْتُ قَلَّةَ الشَّيْءِ ثَرَشِي \* وَتَنَوَّضُ مِنَ الْجَمَاعَةِ  
وَكَلِمَةُ « تَنَوَّضُ » : تَزْعِمُ عَلَى الْقِيَامِ ، وَتَعْبِيرُ « وَتَنَوَّضُ مِنَ الْجَمَاعَةِ »  
يَغْنِي : وَتَزْعِمُ عَلَى الْقِيَامِ وَالْانْسِحَابِ مِنْ جَمَاعَةِ النَّاسِ وَمِنْ الْجُلُوسِ  
بَيْنَهُمْ ... وَقَبْلَهَا كَلِمَةُ « صَبْتُ » تَغْنِي : وَجَدْتُ ، أَيْ تَاكَّدْتُ مِنْ أَنَّ الْفَقْرَ  
يُجِيلُ صَاحِبَهُ بِأَلْيَا مُحْطَمًا مُهْذَمًا .

كَيْفَمَا كَانَتْ تَسْمِيَةُ غِطَاءِ الرَّأْسِ فَإِنَّهُ كَانَ ، وَمَا يَرَاوُ ، تَكْثِيفًا وَزِينَةً  
لِلرَّأْسِ وَلَا سِيَمًا إِذَا كَانَتْ لَهُ دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ مِثْلُ « الشَّاشِيَةِ » الَّتِي اخْتَصَّتْ  
بِهَا ، زَمَنًا وَبِالذَّاتِ فِي مُجْتَمَعِ هَذَا الْحَكِيمِ ، فِتَّةُ رِجَالِ السُّلْطَةِ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ  
مَنْ كَانَ وَجْهُهُ مُرْتَبَ اللُّحْيَةِ وَالشَّارِبِ ، أَوْ مَنْ كَانَ حَلِيقَ الْوَجْهِ عَلَى أَحْسَنِ  
حَالٍ فَإِنَّ هَذَا وَذَلِكَ أَمْرٌ يُخَوِّلُهُ مَظْهَرُ الْجَاهِ ، وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْمَلْبَسِ  
الْأَنِيقِ ... أَمَّا مَنْ كَانَ لِبَاسُهُ رَثًا أَوْ مُرَقَّعًا أَوْ مُهْمَلًا وَفِي حُكْمِ الْفُرْيِ فَإِنَّهُ -  
وَلَوْ كَانَ عَلِيمًا أَوْ فَقِيهًا أَوْ ابْنَ الْبُيُوتَاتِ الْفَاضِلَةِ - يَكُونُ مَرْفُوضًا مِنَ الْمُجْتَمَعِ  
رَفْضًا تَامًا وَلَا يُعْتَبَرُ لَهُ وُجُودٌ ... بَلْ وَيُطْرَدُ ... مِنَ الْمَجَالِسِ ...

وَهَذَا مَا يَزُمُّ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ فِي رُبَاعِيٍّ مِنْ رُبَاعِيَّاتِهِ حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ  
 « الشَّاشِيَّة » تَطْبَعُ الرَّأْسَ ، أَيْ تَزِينُهُ وَتُعْطِيهِ شَكْلًا وَجِبْهًا ، كَمَا أَنَّ  
 « الْحَسَانَةَ » ، أَيْ الْجِلَاقَةَ ، تُضِيءُ الْوَجْهَ وَتَقْرَعُ عَلَيْهِ شَبَابًا وَلَقَانًا ... وَمَنْ  
 كَانَ كَامِلَ الْكُسُوفِ - الْمَكْسِي - يَطْلُو جُلُوسُهُ مَعَ النَّاسِ ، أَمَّا الْمُتَهَمِّلُ فِي  
 مَلْبَسِهِ - الْعَرِيَانُ - فَاطْرُدُّوهُ مِنْ مَجْلِسِنَا « نَوْصُوهُ مِنْ خَدَانَا » ، أَوْ كَمَا  
 يَقُولُ :

الشَّاشِيَّةُ تَطْبَعُ الرَّأْسَ \* وَلَوَجْهَ ثَضْوِيَّةٍ لِحَسَانَتِهِ  
 الْمَكْسِي يَغْفِذُ مَعَ النَّاسِ \* وَالْعَرِيَانُ نَوْصُوهُ مِنْ خَدَانَا  
 وَالرُّبَاعِيَّاتُ الَّتِي ارْتَجَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ وَصَافَهَا عَنْ الْمَالِ  
 وَالْجَاهِ وَمَا لَهَا مِنَ التَّأثيرِ فِي الْمُجْتَمَعِ مُتَنَوِّعَةٌ وَمُتَعَدِّدَةٌ .

## حَوْلَ الْمَرْأَةِ :

مَا كَانَ فِي الرُّجَالِ شَاعِرٌ أَوْ حَكِيمٌ - قَدِيمًا وَحَدِيثًا - إِلَّا وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ حَظٌّ  
 مَقْلُومٌ فِي شِعْرِهِ أَوْ فِي أَقْوَالِهِ ... تِلْكَ ظَاهِرَةٌ أَزَلِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ . وَمِنْ خِلَالِ تَأْمُلِ  
 رُبَاعِيَّاتِ هَذَا الرَّجُلِ الرَّاهِدِ يَبْدُو لَنَا أَنَّهُ كَانَ عَلَى غَيْرِ وِثَامٍ مَعَ النِّسَاءِ ، فَكَالَ  
 لَهْنٍ بِالْمِكْيَالِ الْأَوَّلَى ، وَمَا كَانَ مِنْهُنَّ إِلَّا أَنْ بَادَلْتَهُ صَاعًا بِصَاعٍ ، إِذْ قِيلَ إِنَّهُ ،  
 بِصِفَةِ عَامَّةٍ ، كَانَ غَيْرَ مَحْبُوبٍ مِنْ غَالِبِيَّاتِهِنَّ وَلَا سِيَّمَا فِي آخِرِ حَيَاتِهِ .  
 عَلَى أَنَّنا - اعْتِبَارًا لِكَوْنِ حَدِيثِنَا هَذَا مُوجَّهًا إِلَى عُمُومِ السَّمْعِيِّينَ  
 وَالْمُسْتَمْعَاتِ وَكَذَا مِنْ قَبِيلِ الْحَيَاءِ - نَتَحَاشَى الْمَقْدِزَ وَالْفَاحِشَ مِنْ رُبَاعِيَّاتِهِ  
 الرَّاحِجَةِ بَيْنَ النَّاسِ عَنْ نَظَرَتِهِ إِلَى بَعْضِ نِسَاءٍ مُحِيطَةٍ وَبَعْضِهِ ، وَإِنَّمَا نُشِيرُ  
 فَقَطْ إِلَى بَعْضِهَا الْآخَرِ ، أَيْ إِلَى بَعْضِهَا الَّذِي قَدْ لَا يَتَأَدَّى أَحَدٌ ، نِسْبِيًّا ، مِنْ

سَمَاعِهِ غَبَرَ أَمْوَاجِ الْآثِيرِ .

يَرَى هَذَا الْحَكِيمُ الَّذِي تَأَمَّلَ حَيَاةَ النَّاسِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ أَنَّ حُبَّ  
النِّسَاءِ شَبِيهُ فِي تَبَدُّلِهِ بِالْكَلْبِ الْغَدَّارِ الَّذِي لَا يَزْعُمُ الْوَفَاءَ الْمَطْبُوعَ عَلَيْهِ عَادَةً  
كُلَّ كَلْبٍ ، فَإِنَّهُ - أَيُّ الْكَلْبِ الْغَدَّارُ أَوْ حُبُّ النِّسَاءِ - بَعْدَ أَنْ يُؤْلَفَ وَيُسْتَأْنَسَ  
بِهِ يَتَخَلَّى عَنْ تَعَوُّدِهِ وَيَبْتَغِدُ عَنْ أَلْفِهِ .

عَلَى أَنَّ الشُّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَا الرِّبَاعِيِّ يُؤَكِّدُ أَنَّ النُّظْرَةَ الْمَجْرَدَةَ لَا تَكْفِي  
لِإِشْبَاعِ الْجُوعَانِ ( الشُّوفُ مَا يَبْرُدُ الْجُوفُ ) ، بَيْنَمَا يُشِيرُ الشُّطْرُ الثَّانِي  
مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ إِلَى أَنَّ الرِّيحَ مَا كَانَ لِيَتَلَا نَهْرًا فَارِعًا :

الشُّوفُ مَا يَبْرُدُ الْجُوفُ \* وَالرِّيحُ مَا خَمَلَ بِهِ وَادٍ  
حُبِّ النِّسَاءِ كَلْبُ غَدَّازٍ \* . بَعْدَ مَا يُؤْلَفُ يَنْفَعِدُ  
وَإِذْ يُشِيدُ عَبْدُ الرُّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ بِالتَّجَوُّلِ فِي الْبُلْدَانِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ هَذَا  
التَّجَوُّلَ نَزْمُهُ وَاسْتِمْتَاعُ ( خُخَاسَ لَبْلَادِ نَرَاهُ ) ، وَوَسِيلَةُ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى  
شَتَّى النُّوَاجِي وَالْأَنْهَارِ وَاجْتِيَازِهَا ( تَعْرِفُ شَعَابَ وَتَجُوزُ ) ، يُعْلِنُ أَنَّ مَحَبَّةَ  
النِّسَاءِ تَدْنُ وَضِياعُ وَقْتٍ وَلَا طَائِلَ مِنْ وَزَائِهَا ( سَفَالَةٍ ) ، بَيْنَمَا يَرَى أَنَّ  
مَحَبَّةَ الرِّجَالِ وَصَدَاقَتَهُمْ وَعِشْرَتَهُمْ كُنُوزٌ مُفِيدَةٌ :

خُخَاسَ لَبْلَادِ نَرَاهُ \* تَعْرِفُ شَعَابَ وَتَجُوزُ  
مَحَبَّةَ النِّسَاءِ سَفَالَةٍ \* وَمَحَبَّةَ الرِّجَالِ كُنُوزُ  
وَيَقُولُ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى : إِنَّ الْحُبَّ هُوَ نَتِيجَةُ التَّرَاضِي وَالتَّوَافُقِ  
بَيْنَ اثْنَيْنِ ( الْمَحَبَّةُ بَعَثُ الرِّضَا ) ، وَإِنْ مَنْ يُحِبُّ يَكُونُ بِصِفَةِ مُسَبِّقَةٍ قَدْ قَبِلَ  
أَنْ تَسْتَعِيدَهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ ( الَّتِي حَبَبَهَا مَلَكُوتُ ) : لَكِنْ الْحُبُّ لَا يُحْطِئُ أَحَدًا ،  
فَكُلُّ مُعْرِضٍ لِسِهَامِهِ ( مَا حَاطَتْ حَتَّى وَاحِدَ ) ، إِنَّمَا دَرَجَاتُ هَذَا الْإِلْتِيَاعِ



أُوْدَكَ الْإِسْتِغْنَاءُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَفْرَادِ ( كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ جَاءَتْهُ ) .

وَهَذَا نَحْصُ ذَلِكَ الرَّبَاعِيِّ :

الْمَحْبَبَةُ بَنَتْ الرِّضَا \* \* \* الَّتِي حَبَبَهَا مَلَعَاثُ  
مَا أَخْطَطَتْ حَتَّى وَأَخَذَ \* \* \* وَكُلَّ وَأَخَذَ كَيْفَ جَاءَتْهُ  
نَعَمْ إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ عَظِيمٌ . وَيَرَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ أَنَّ هَذَا الْكَيْدَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ اثْنَيْنِ ، أَيْ مُشَدَّدٌ ، ( كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدَيْنِ ) ، وَأَنَّهُ هُوَ - أَيْ  
الشَّاعِرُ - مِنْ شِدَّةِ كَيْدِهِمْ يَلُودُ بِالْفِرَارِ مِنْهُمْ ( مَنْ كَيْدُهُمْ جَيْتْ هَارِبٌ )  
لِأَنَّهُمْ - فِي نَظَرِهِ - يَتَحَرَّضُونَ بِالْأَفْعَالِ ( يَتَحَرَّضُوا بِالْفَاعِي ) ، وَيَنْزِلُونَ  
بِالْعُقَارِبِ فِي أَرْجُلِهِمْ ! وَهَذِهِ قِسَاسَةٌ نَاتِجَةٌ ، بِدُونِ شَكٍّ ، عَنْ عِذَاءٍ مُكْشُوفٍ .  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الشَّاعِرِ سِوَى هَذَا الرَّبَاعِيِّ فِي التَّهْجِمِ عَلَى أَمْهَاتِنَا ،  
وَشَقِيقَاتِنَا ، وَحَلَالَتِنَا ، وَبَنَاتِنَا ... لَكُنِّي تَبَرِيرًا لِعَدَمِ ارْتِيَاكِهِنَّ نَحْوَهُ حَيًّا  
وَمَيِّتًا .

وَهَذَا نَحْصُ ذَلِكَ الرَّبَاعِيِّ :

كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدَيْنِ \* \* \* وَمَنْ كَيْدُهُمْ جَيْتْ هَارِبٌ  
يَتَحَرَّضُوا بِالْفَاعِي \* \* \* وَيَتَخَلَّلُوا بِالْعُقَارِبِ  
وَمَفْهُومُ تَعْبِيرٍ « يَتَخَلَّلُوا بِالْعُقَارِبِ » يَعْنِي يَلْتَبَسُنَ الْعُقَارِبُ بِمَثَابَةِ  
الْخَلَّاجِلِ فِي أَرْجُلِهِمْ .

وَهُنَاكَ ، مِنْ بَيْنِ رُبَاعِيَّاتِهِ ، رُبَاعِيٌّ آخَرُ شَبِيهٌ بِهَذَا ، وَنَحْصُهُ :

كَيْدُ النِّسَاءِ كَيْدَيْنِ \* \* \* وَمَنْ كَيْدُهُمْ يَا خُرُونِي  
رَاكِبَهُ غَلَى ظَهَرَ السَّبْعِ \* \* \* وَتَقُولُ : الْجَذْيَانِ يَلْخُثُونِي  
وَالْجَذْيُ ( جَمْعُ جَذْيَانٍ ) هُوَ لَدَى الْمَغَزِّ فِي سَنَّتِهِ الْأُولَى حَيْثُ لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا

طاقة عَلَى الْإِغْتِدَاءِ . وَمَذْلُولٌ هَذَا ، فِي رَأْيِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ ، أَنَّ الْمَرْأَةَ - بِدَهَانِهَا - تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْتَطِي ظَهْرَ الْأَسَدِ مُتَغَلِّبَةً عَلَيْهِ ، وَتُوْهِمَ النَّاسَ ، فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، أَنَّهَا خَائِفَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمَرْءِ !

وَيَقُولُ أَيْضًا عَنِ النِّسَاءِ بِأَنَّ اللَّوْعَةَ مِنْهُنَّ لَا تُنْسَى ( كَيْفَهُمْ مَا تَفْنَى ) ، وَالْأَفْضَلُ أَلَّا تَتَنَاوَلَ شُرَبْتَهُنَّ ( مَرَقَتَهُمْ لَا تَحْسَى ) وَإِذَا أَقْسَمَنْ عَلَى النَّيْلِ مِنْكَ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْفِرَارُ مُجْرِدًا مِنْ كَسْوَتِكَ :

النِّسَاءُ كَيْفُهُمْ مَا تَفْنَى \* وَمَرَقَتُهُمْ مَا تَحْسَى  
وَإِذَا خَلَفُوا فِيكَ النِّسَاءَ \* غَيْرَ الْمَرْبِ بِلَا خُسَا  
وَيَرَى كَذَلِكَ أَنَّ الضَّمَكَاتِ الْجَمِيلَةَ الَّتِي تَمْتَارُ بِهَا النِّسَاءُ لَا تَدُومُ ... وَإِذَا مَا كَانَ السَّمَكُ يُجِيدُ السَّبَاحَةَ فِي الْبَحْرِ فَإِنَّهُنَّ - هُنَّ - يَسْبَحْنَ مِنْ دُونِ مَاءٍ :  
مَا أَرَيْنَ النِّسَاءَ بَضْعَاتٍ \* لَوْ كَانَ فِيهَا يَذُومُوا  
الْخُوثُ فِي لَبْحَرِ عَوَامٍ \* وَهُمْ بِلَا مَا يَغُومُوا  
وَتَرْكِيْبُ : « مَا أَرَيْنَ النِّسَاءَ » مَعْنَاهُ : « مَا أَجْعَلُ النِّسَاءَ » . وَمَقْهُومُ هَذَا الرُّبَاعِي ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ ، أَنَّ قُوَّتَهُنَّ دُونَهَا آيَةٌ قُوَّةٌ كَيْفَمَا كَانَتْ ، إِنَّهُنَّ قَادِرَاتٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَهْمَا عَظُمَ شَأْنُهُ !

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ مُتَيَقِّنٌ مِنْ أَنَّ النِّسَاءَ وَالْمَالَ سَبَبُ كُلِّ خِصَامٍ أَوْ شَتَانٍ بَيْنَ الْأَجِبَةِ وَالْأَقَارِبِ . وَيَقُولُ فِي هَذَا الصِّدْدِ :  
يَا لَلَّتِي تَعْبِطُ قُدَامَ الْبَلَبِ \* عَيْطُ وَكُنْ فَاهِم  
مَا يَفْسُدُ بَيْنَ الْأَخْيَبِ \* غَيْرِ النِّسَاءِ وَالزَّاهِم  
وَحَدِيثُ النِّسَاءِ مُؤْنِسٌ وَمُمْتِعٌ وَيُقْتَحُّ الْفَهْمُ . لَكِنَّ النِّسَاءَ قَادِرَاتٌ عَلَى أَنْ يَصْنَعْنَ قِلَادَةً مِنَ الْهَوَاءِ ( يَدِيرُوا شُرُكَةً مِنَ الرِّيحِ ) ، وَعَلَى أَنْ يَحْلِقْنَ لَكَ

شَعَرَ رَأْسَكَ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى تَلِيلِهِ بِالْمَاءِ ( يَحْسَنُوا لَكَ بَلَامًا ) ، أَيُّ أَنْ يَلْعَبْنَ  
عَلَيْكَ بِدَمَاءٍ ... وَهَذَا مَا يَقُولُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ :

خَبِيرْتُ النِّسَاءَ يَوْمُنَ \* وَيَعْلَمُ لَهَامَهُ  
يُخْبِرُوا شَرْكَهُ مِنَ الرِّيحِ \* وَيَحْسَنُوا لَكَ بِلَا مَا

وَفِي نَفْسِ الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ يُبْدِعُ هَذَا الشَّاعِرُ رُبَاعِيًّا آخَرَ يُؤَكِّدُ فِيهِ  
أَنَّ سُبُوقَ النِّسَاءِ سَيِّءُ الْفَالِ ( مَطْيَار ) ، فَاثْتَبِهْ جَيِّدًا أَنْتَ أَيُّهَا الدَّاحِلُ إِلَيْهِ ،  
وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَيُّهَا الْغَايِمُ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ النِّسَاءِ إِيَّاكَ تُمْ إِذَاكَ  
مِنْ عَاقِبَةِ هَذَا التَّعَامُلِ . إِنَّهُمْ يُؤْهِمُكَ بِأَنَّ هُنَاكَ رَجُلًا هَانِلًا ( أَيُورِيوَا لَكَ مِنَ  
الرِّيحِ قَنْطَار ) ، فِي حِينِ أَنْهُمْ يَدْفَعُونَ بِكَ إِلَى خَسَارَةِ رَأْسِ الْمَالِ :

سُبُوقِ النِّسَاءِ سُبُوقِ مَطْيَارِ \* يَا دَاخِلُو رُؤْ بِأَلِكْ  
أَيُورِيوَا لَكَ مِنَ الرِّيحِ قَنْطَارِ \* وَيَحْسَنُوكَ فِي رَأْسِ مَالِكْ

وَهُوَ يُوصِي بِعَدَمِ الْإِنْخِدَاعِ وَالْإِنْهَارِ بِمَظْهَرِ الْمَرَاةِ مِنْ حَيْثُ الْجَمَالِ  
( الرِّين ) ، لِأَنَّ الْجَمَالَ فِي نَظَرِهِ يُمَثِّلُ زَهْرَ شَجَرَةِ الدُّفْلِيِّ الَّذِي يُشْبِهُ فِي  
أَخْبَارِهِ الْوَرْدَ وَمَا هُوَ بِوَرْدٍ ( كَحُورِ الدُّفْلِيِّ ) . فَتَشْتَانُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ : إِنْ  
عُرِيقَ الدُّفْلِيِّ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْمَرَاةِ :

يَا أَلِي تَغْشَقُ النِّسَاءَ \* لَا يَغْوِيكَ الرِّينُ  
الرِّينُ كَحُورِ الدُّفْلِيِّ \* هِيَ الْقُمْ غُرُوقُ مَرِّينِ  
وَارْتِكَازًا عَلَى نَفْسِ الْمَقَارِنَةِ وَالتَّشْبِيهِ بِزَهْرِ شَجَرَةِ الدُّفْلِيِّ الَّتِي تَنْتَبِثُ عَلَى  
حَوَاشِي الْوُذْيَانِ حَيْثُ تَغْمُرُ الْمَكَانَ بِظِلَالِهَا ، يُشِيرُ أَيْضًا إِلَى أَنَّ جَمَالَ الْغَاذِيَةِ  
( زَيْنِ الطُّفْلَةِ ) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُثِيرًا لِلْإِعْجَابِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ فِعْلًا بِجَمَالِ  
الْأَفْعَالِ :

لَا يَفْجَبُكَ نُورُ الدُّفْلِ \* فِي الْوَاثِ عَامِلٌ ظَلَايِلُ  
لَا يَعْجَبُكَ زَيْنُ الطُّفْلَةِ \* حَتَّى تَشُوفَ لَفْعَايِلُ  
وَيَرَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ أَنَّ حُبَّ النِّسَاءِ ذُو رَاحَةٍ فَوَاحَةٍ مِثْلَ رَاحَةِ  
الْمِسْكِ أَوْ التُّفَاحِ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ بَاقَةٌ ( بَاقَةٌ فُلٌ مَثَلًا ) بَيْنَ الطَّاقِيَةِ وَشَعْرِ الرَّأْسِ  
كَمَا عَلَيْهِ عَادَةً بَعْضُ النَّاسِ فِي تُونِسَ ( مَشْمُومٌ بَيْنَ الطَّوَاقِي ) ... فَمَنْ  
أَحْبَبَهُ النِّسَاءُ مَاتَ مُسْتَرِيحًا ، وَمَنْ كَرِهَهُ مَاتَ شَقِيًّا :

حُبُّ النِّسَاءِ مَسْكٌ تَفَاح \* مَشْمُومٌ بَيْنَ الطَّوَاقِي  
الَّذِي حَبُّهُ يَمُوتُ مَزْنَاخ \* وَالَّذِي كَرِهُهُ يَمُوتُ شَاقِي  
وَهُوَ يُوصِي مَنْ قَدْ يَكُونُ مُحِبًّا لاثْنَتَيْنِ فِي أَنْ وَاحِدٍ - بِحَيْثُ يَكُونُ وَكَأَنَّهُ فَوْقَ  
شَجَرَةٍ يَزْكَبُ عَلَى عَرْشَيْنِ - أَنْ يَنْتَبِهَ جِدًّا وَبِرْفَقٍ حَتَّى لَا يَسْقُطَ إِلَى الْأَرْضِ  
( سَلَيْسَ لَا تُطِيح ) ، كَمَا يُوصِيهِ بِأَنْ يَتَخَلَّى عَنْ مُحَبَّةِ اثْنَتَيْنِ مَعًا . فَإِنَّهُ إِذَا  
أَخَذَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا فَقَطْ يَرِيحُ وَيَسْتَرِيحُ :

يَا زَاكِبَ عَرْشَيْنِ \* سَلَيْسَ لَا تُطِيح  
خَلِيكَ مِنْ مُحَبَّةِ اثْنَيْنِ \* حُذْ وَخَذْ تَسْتَرِيحُ  
وَكَمْ زِدَدَ الْغِنَاءِ وَالطَّرَبِ فِي السُّهَرَاتِ وَالْجَلَسَاتِ الْخَاصَةِ التُّزْنَمِ وَالتُّنْغِيمِ  
مَوَالًا بِرُبَاعِيٍّ مَشْهُورٍ لِهَذَا الشَّاعِرِ ، فَطَلَمَّا طَرِبَ النَّاسُ لِسَمَاعِهِ وَتَمَاسِيلُوا  
اِنتِشَاءً وَخُبُورًا ، وَهُوَ :

لَا فِي الْجِبَالِ وَادٍ مَغْلُوم \* وَلَا فِي الشِّتَاءِ لَيْلٌ ذَا فِي  
لَا فِي لَعْدَا قَلْبٍ مَزْحُوم \* وَلَا فِي النِّسَاءِ عَهْدٌ وَافِي  
وَعَلَى هَذَا النُّسَقِ - وَسِوَاهُ - مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤَزَّوْنِ حَوْلَ النِّسَاءِ يَسْتَرْسِلُ

عَبْدُ الرُّحْمَنِ الْمَجْذُوب ... وَلَهُ نَظَرِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ أُخْرَى بِهَذَا الْخُصُوصِ وَلَا سِيَّمَا عَنِ الْأَرَامِلِ وَالْمُطَلَّقاتِ وَأَوْلَادِهِنَّ .

وَإِذَا كَانَ حَاكِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ ، فَإِنَّ رَاوِي هَذِهِ الرُّبَاعِيَّاتِ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ مُشَاطِرًا لِأَرَاءِ صَاحِبِهَا ، وَإِنَّمَا هِيَ نَمَازِجٌ مِنَ الْأَدَبِ الشُّعْبِيِّ فِي مُجِيطٍ عَرَبِيٍّ .

### نَصَائِحُ وَمَوَاعِظُ :

عَلَى أَنْ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ - جَمِيعَهُمْ - قَدْ أَحَبُّوا جَانِبَ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظِ فِي رُبَاعِيَّاتِ الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ عَبْدِ الرُّحْمَنِ الْمَجْذُوب ، وَطَالَمَا رَدَّدُوهَا وَتَمَتَّلَوْا بِهَا . وَإِذَا كَانَتْ الْإِشَارَةُ قَدْ سَلَفَتْ إِلَى بَعْضِهَا فَإِنَّمَا نُضِيفُ إِلَيْهَا أُخْرَى . فَلَطَالَمَا نَصَحَ سَامِعِيهِ بِالتَّقْوَى وَالتَّوْبَةِ فِي انْتِقَاءِ الصَّدِيقِ الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ كَثْرَةٍ مَنْ قَدْ يُظَنُّ أَنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ . وَهُوَ يُنَادِي السُّتَمِيعَ إِلَى خُطَابِهِ بِـ « الْمَغْرُورِ فِي الدُّنْيَا » اعْتِبَارًا لِكُونِ أَيِّ إِنْسَانٍ حَيٍّ إِنَّمَا هُوَ فِي دَارِ الْغُرُورِ ، فَيَقُولُ مَا مَعْنَاهُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمَغْرُورُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، يَا مَنْ كَثُرَ أَصْحَابُهُ وَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ أَحِبَّائِهِ ، لَا تَتَّخِذْ مِنْ بَيْنِهِمْ صَدِيقًا لَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَرَى مِنْهُ حُسْنَ الْعَامَلَةِ . ( الضُّوَابِ ) وَتَتَأَكَّدُ مِنْ سِيرَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ :

يَا الْمَغْرُورُ فِي الدُّنْيَا \* يَا مُخِيرَ لُحْبَابِ  
مَا تُدِيرُ الصَّاحِبَ حَتَّى \* تُشَوِّفَ الضُّوَابِ  
وَإِذْ يَتَأَمَّلُ عَبْدُ الرُّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ نَامُوسَ الْحَيَاةِ تَأَمُّلاً دَقِيقًا يَرَى أَنَّ  
لِلْمَعَاشِرَةِ فِي الْجَمْعِ أَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً . فَالْمُخَالَطَةُ بَيْنَ النَّاسِ بِقَدْرِ مَا تُؤَدِّي إِلَى  
الْخَيْرِ حِينَ قَدْ تُؤَدِّي إِلَى الشَّرِّ أَحْيَانًا . فَمَنْ عَاشَرَ الْكُرَمَاءَ وَدَوِيَ الْحَامِدِ  
( لُجُودِ ) ، وَخَالَطَهُمْ مُخَالَطَةً اجْتِمَاعِيَّةً يَكْتَسِبُ - حَتْمًا - جَمِيلَ صِفَاتِهِمْ

فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ . أَمَا يَعْكُسُ ذَلِكَ فَإِنْ مَنْ اخْتَلَطَ بِالْأَزْدَالِ وَالْأَوْبَاشِ  
وَالْأَشْرَارِ فَلَا يُمَكِّنُ إِلَّا أَنْ يُصْبِحَ مُغْدِمًا مِنْ كُلِّ شَرِّوَةٍ كَيْفَمَا كَانَتْ ( زَالِ  
غَنَاهُ ) : كَمَا أَنَّ مَنْ جَاوَزَ قَدْرًا مُحَمَّمَةً ، أَيْ مُلْطَخَةً بِالسُّوَادِ النَّاتِجِ عَنْ نَارِ  
الْفَحْمِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُلْطَخَ هُوَ أَيْضًا بِذَلِكَ الْحَمَمِ . أَمَا مَنْ جَاوَزَ نَظَافَةَ  
الصَّابُونِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنَالَ نَقَاوَتَهُ :

مَنْ خَالَطَ لَجَوَازَ جِلْدَ بُجُودِهِمْ \* \* \* وَمَنْ خَالَطَ لِرِذَالِ زَالِ غَنَاهُ  
وَمَنْ جَاوَزَ قَدْرَهُ أَنْطَلَى بِخُمُومِهَا \* \* \* وَمَنْ جَاوَزَ صَابُونَ جَابِ نَقَاهُ  
وَكَلِمَةُ « جَابِ » تَغْنِي جَلَبَ أَوْ حَصَلَ عَلَى ، أَوْ أَحْضَرَ ... وَمَفْهُومُ « جَابِ  
نَقَاهُ » حَصَلَ عَلَى نَقَاوَتِهِ وَنَظَافَتِهِ .

وَبِ هَذَا السِّيَاقِ أَيْضًا وَعَلَى سَبِيلِ النُّصِيحَةِ ، يُوصِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
الْمُجْدُوبُ الْمُسْتَمِعَ إِلَيْهِ بِالْأَنْ يَرْتَدِّيَ إِلَّا مَا هُوَ عَلَى قَدَرِهِ وَمَقَاسِهِ ، وَالْأَنْ يَلْعَبَ إِلَّا  
مَعَ قَرِينِهِ وَنِدِّهِ ، وَالْأَنْ يَتَنَاوَلَ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ إِلَّا مَا يَرِيقُ لَهُ  
وَيَتَذَوِّقُهُ ، وَالْأَنْ يَكُونَ لَهُ مَصَاحِبًا وَرَفِيقًا إِلَّا الشَّخْصُ الَّذِي يَعْرِفُ مَنْزِلَتَهُ حَقًّا  
الْمَعْرِفَةُ :

الْبَسَ قَدْرَكَ وَالْعَبَ مَعَ نَدِّكَ \* \* \* وَاشْرَبْ وَكُلْ مَا يَرِيقُكَ  
وَلَا تَخَالَطْ غَيْرَ الَّذِي يَعْرِفُ \* \* \* قِيَمَةُ بَابِكَ وَجَدَكَ

وَمِنْ أَشْهُرِ نَصَائِحِ هَذَا الشَّاعِرِ الشُّعْبِيِّ وَرُبَاعِيَّاتِهِ ذَلِكَ الرُّبَاعِيُّ الَّذِي  
يَقُولُ فِيهِ مَا مُؤَدَاهُ : عَلَيْكَ بِطَاعَةٍ مِنْ تَخْدِمُهُ ... مُقَابِلَ مَا تَنَالُهُ مِنْ أَجْرِ ...  
وَحَيْرَتِكَ أَنْ تَبِيعَ مَا قَدْ تَرِيدُ رَهْنَهُ ... حَتَّى لَا يَكُونَ فَضْلُ أَحَدٍ عَلَيْكَ ... مَا دَامَ  
بِيَدِكَ مَتَاعٌ ... وَعَلَيْكَ بِالْحَافِظَةِ التَّامَةِ عَلَى مَا تَسْعَى إِلَى خَزَنِهِ ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ  
أَنْ تُذِيعَ أَسْرَارَكَ :

الَّتِي تَخْذَمُو طِيْعُو \* وَالَّتِي تَرْهَنُو بِيْعُو  
وَالَّتِي تَحْرَنُو مَا تُضَيْعُو \* وَالسُّرَّ دِيَالِك مَا تُشَيِّعُو

وَحَرْفُ الْوَاوِ فِي آخِرِ أَفْعَالِ هَذَا الرُّبَاعِيِّ يَقُومُ مَقَامَ حَرْفِ الْهَاءِ ، الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ الَّذِي يَكُونُ بِمِثَابَةِ الْمَفْعُولِ بِهِ : « تَخْذَمُو » أَي تَخْدِمُهُ ، وَ« طِيْعُو » أَي أَطِيعُهُ ، وَ« تَرْهَنُو » أَي تَرْهَنُهُ ، وَ« بِيْعُو » أَي بَعُوهُ ، وَ« تَحْرَنُو » أَي تَحْرَنُهُ ، وَ« مَا تُضَيْعُو » أَي لَا تُضَيِّعُهُ ، وَ« مَا تُشَيِّعُو » بِمَعْنَى لَا تُدْعُهُ بَيْنَ النَّاسِ . أَمَّا كَلِمَةُ « دِيَالِك » فَإِنَّهَا - كَمَا قَدْ يَكُونُ مَعْلُومًا لِجُمْهُورِ الْمُسْتَمْعِينَ وَالْمُسْتَمْعَاتِ خَارِجِ الْمَحِيطِ الْمَغْرِبِيِّ - تُفِيدُ مَفْهُومَ النُّسْبَةِ أَوْ الْإِنْتِسَابِ ، تَمَامًا كَمَا تُفِيدُهُ كَلِمَةُ « فَلَابَعَكَ » أَوْ كَلِمَةُ « مَتَاعَكَ » أَوْ « بَتَاعَكَ » أَوْ « حَقَّكَ » فِي لَهَجَاتٍ غَرِبِيَّةٍ أُخْرَى .

وَيُوصِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ فِي رُبَاعِيٍّ مِنْ رُبَاعِيَّاتِهِ بِعَدَمِ التَّمَاطُلِ وَالتَّبَاطُلِ وَالتَّرْدُّدِ فِي اخْتِذِ الْقَرَارِ ، إِذِ النَّجَاحُ يَكُونُ فِي الْمُبَادَرَةِ الْعَاجِلَةِ بِحَسْمِ أَيِّ مَوْضُوعٍ ... وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ الْحَالُ يَتَحَدَّثُ رَمْرًا إِذْ يَقُولُ : « حَطِيطْهَا تَبْرَدُ » ، وَكَأَنَّهُ يَعْنِي بِالضَّمِيرِ الْمُتَضَمِّنِ فِي « هَا » مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ « أَكْلَةً » . وَ« حَطِيطْهَا » مَعْنَاهَا أَنْزَلْتُهَا فَوْقَ الْأَرْضِ أَوْ وَضَعْتُهَا أَوْ تَرَكْتُهَا . إِنْ أَكَلْتَهُ هَذِهِ سُخْنَةٌ جِدًّا ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ وَضَعَهَا لِتَبْرُدَ . لَكِنْ هُنَاكَ مَنْ رَأَى هَذِهِ الْغَنِيمَةَ مَتْرُوكَةً مُهْمَلَةً فَارْتَمَى عَلَيْهَا حَالًا - لَقَفَهَا - وَهِيَ سُخْنَةٌ - سُخْنَوْنَةٌ - ... ثُمَّ يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِفِعْلِهِ هَذَا فَيَقُولُ إِنْ هَذِهِ حَالَةٌ مِنْ يَسْلُوكَ سُلُوكَ التَّرْدُّدِ ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ هَذَا عِلَاجٌ لِمَنْ « يُبْرَدُ » ، أَي لِمَنْ يَتَنَاقَلُ فِي اخْتِذِ الْقَرَارِ ، لِأَنَّ أَفْضَلَ الطَّعَامِ هُوَمَا يُؤْكَلُ سُخْنًا ، أَي إِنْ أَفْضَلَ قَرَارٍ هُوَمَا يُؤْخَذُ عَزْمًا :

حَطِيئَتَهَا      تَبْرَدُ \* جَا إِلَيَّ لَقَطَهَا شَخْوَهُ  
هَذَا ذُوَا      يَنْزِلُ \* خَيْرُ الْمَوَاحِلِ شَخْوَهُ  
وَفَنَّاكَ عَشْرَاتُ أُخْرَى مِنْ الرُّبَاعِيَّاتِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي صَاغَهَا هَذَا الشَّاعِرُ  
الْحَكِيمُ فِي التَّوْجِيهَاتِ وَالنَّصَائِحِ اعْتِمَادًا ، مِنْ جِهَةٍ ، عَلَى تَجَارِيهِهِ وَمُلَاحَظَاتِهِ  
فِي مُجْتَمَعِ عَصْرِهِ ، وَازْتِكَاذًا ، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، عَلَى مَوَاهِبِهِ وَفِرَاسَتِهِ وَمَا  
طَبَعَ عَلَيْهِ مِنْ فَاحِصِ التَّفَكِيرِ وَنَقِيٍّ التَّدْبِيرِ .

### تأملاتٌ مُتنوّعة :

إِنَّ الْغَالِبِيَّةَ مِنَ النُّقَاطِ الَّتِي وَضَعْنَا لِبَعْضِهَا عُتْوَانًا فِي مُسَلْسَلِ هَذَا  
الْبَرْنَامِجِ الْإِذَاعِيِّ يُكَيِّنُ اعْتِبَارُهَا ، إِذَا مَا اذْمَجْنَا بَعْضَهَا فِي بَعْضِهَا الْآخَرِ ،  
تَأْمَلَاتٍ حَكِيمَةٍ وَاعٍ مُتَدَبِّرٍ ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّنَا لَا نُسْتَهْدِفُ ، أَبَدًا ، إِثْبَاتَ دِيْوَانِ  
بِحْذَائِفِرِهِ أَوْ مَجْمُوعِ بِكَامِلِهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَمَثَلَةٌ مِنْ هَذَا الْآدَبِ الشَّعْبِيِّ  
الرُّصِينِ .

لَطَمًا أَشَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ بِمُرَاوَلَةِ الْعَمَلِ الْجَادِّ ، الْعَمَلِ  
« الْيَدَوِيِّ » ، مِنْ زِرَاعَةٍ ، وَفِلَاحَةٍ ، وَصِنَاعَةٍ ، وَحِرْفَةٍ ... بَدَلًا مِنَ الْاِتِّكَالِ  
عَلَى مَوَارِدِ مَالِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ . إِنَّ هَذَا الْحَكِيمَ بِقَدْرِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ  
بِالَّذِينَ يَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ بِالْعَمَلِ ( الْخِدْمَةِ وَالذِّينِ ) ، وَيُشَبِّهُهُمَا بِالْوَرْدِ  
الْمُتَفَتِّحِ عَلَى الْخُدَيْنِ فِي الْوَجْهِ الْبَشَرِيِّ أَحْمَرَ جَمِيلًا إِنْ لَمْ يَكُنْ عَطْرًا فَوَاحًا .  
إِنَّ مَالَ الْأَجْدَادِ ، مَوْثُوثًا كَانَ أَمْ مَوْفُوثًا ، مَالٌ سَرِيعُ الْفَنَاءِ وَالزُّوَالِ ( يَفْنَى  
مَالُ الْجَدِّينِ ) ، بَيْنَمَا الصَّنْعَةُ الَّتِي يُجِيدُهَا الْمَرْءُ وَيُبْقِيْنَهَا تَبْقَى لَهُ دُخْرًا أَبَدِيًّا  
وَلَا يَفْنَى لَهَا رَزَقٌ أَوْ مَرْدُودٌ أَبَدًا :



الْخُدْمَه وَالذِّين \* كَلَوَزِدْ عَلَى الْخُدَيْن  
يَلْفَى مَل الْجَيْن \* وَتَبْقَى صَنْعَةُ الْيَدَيْن

وَإِذَا كَانَ أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ يَتَأَسَّفُونَ وَيَتَحَسَّرُونَ فِعْلًا عَلَى أَهْلِ الزَّمَنِ الَّذِي  
سَبَقَهُمْ وَلَا سِيَّمَا عَلَى أَيَّامِ التَّقْوَى وَالرَّخَاءِ وَالْكَرَمِ ، فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ الشَّعْبِيَّ  
لَيْسَ بِدُعَا فِي هَذَا الصَّدَد . لَكِنَّهُ يَتَذَكَّرُهُمْ فِي تَأْمُلَاتِهِ مِنْ حَيْثُ الْجَهْرُ أَمْرًا  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَقُولُ فِي تَغْيِيرِهِ الشَّعْبِيَّ : « جَا هَذَا الزَّمَانِ  
بِفَاسِهِ » . وَكَلِمَةُ « فَاس » هَذِهِ هِيَ تِلْكَ الْأَدَاةُ الَّتِي بِهَا يُقَطَّعُ الْخَشَبُ ،  
وَتُحْفَرُ الْأَرْضُ ، وَبِهَا أَيْضًا يُمَكِّنُ رَجُلٌ كُلَّ مَنْ قَدْ تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ قَوْلَ مَا لَا  
يُقْبَلُ مَقَالَهُ (١) ، إِذْ يَرَى هَذَا الشَّاعِرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَدْ يَتَكَلَّمُ فِي زَمَانِهِ وَعَصْرِهِ  
بِالْحَقِّ تَخْضُدُ شَوْكَتَهُ ... وَرُبَّمَا يُكْثِرُ رَأْسُهُ ... بِذَلِكَ الْفَاسُ :

زَاخَ ذَاكَ الزَّمَانِ وَرَأْسُهُ \* وَجَا هَذَا الزَّمَانِ بِنَفَاسِهِ  
وَكُلُّ مَنْ يَتَعَلَّمُ بِالْحَقِّ \* كَسَرُوا لَهُ رَأْسَهُ  
وَهَاءُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ الْمُزْبُوطَةِ فِي آخِرِ كَلِمَاتِ « نَاسُهُ » ، وَ« بِنَفَاسِهِ » ،  
وَ« رَأْسُهُ » يَحُلُّ مَحَلَّهَا وَأَوَّلُ مَنْ حَيْثُ النُّطْقُ الدَّارِجُ ، فَتَنْطَلِقُ بِطَبِيعَتِهَا هَكَذَا :  
« نَاسُو » ، وَ« بِنَاسُو » ، وَ« رَاسُو » .

وَهُنَاكَ رُبَاعِيٌّ آخَرٌ لِهَذَا الْحَكِيمِ قَدْ ذَهَبَ هُوَ أَيْضًا مَذَهَبَ الْأَمْثَالِ بَيْنَ  
النَّاسِ ... عَنِ ابْنِ آدَمَ ، عَنِ الْبَشَرِ ... الْمُطْبُوعِ عَلَى الْخُبْنِ وَسُوءِ الطَّبْعِ  
( حَايِبِ الطَّبِيعَةِ ) ، وَالْمُطْبُوعِ بِالتَّالِي عَلَى التَّفَاقِ وَالْخِدَاعِ . إِنَّ ابْنَ آدَمَ  
عِنْدَمَا يَتَنَسَّمُ لَكَ وَيَفْرَجُ أَسْنَانَهُ فِي مُقَابِلِ انْفِرَاجِ أَسْنَانِكَ فَلَا تَصُدَّقُهُ ... إِنَّ  
قَلْبَهُ رَغْمَ هَذِهِ الضَّحَكَةِ الصَّفَرَاءِ يُضْمِرُ لَكَ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ :

(١) وكلمة « فاس » تعني كذلك اسم مدينة حضارية كبيرة في المغرب .

يَا سَاعِلِنِي عَلَى ابْنِ آدَمَ \* ذَاكَ خَائِبٌ الطَّبِيعَةِ  
السُّنُّ يَضْحَكُ لِلسُّنِّ \* وَالْقَلْبُ فِيهِ لَخْدِيعُهُ  
وَيُشِيدُ هَذَا الشَّاعِرُ الشَّعْبِيَّ بِالصُّحَّةِ الْجَيِّدَةِ - رُبَّمَا فِي عُمُرِهِ الْمُتَقَدِّمِ -  
وَيَرَى أَنَّ الصُّحَّةَ السَّلِيمَةَ هِيَ رَأْسُ الْمَالِ ، وَهِيَ الثَّرْوَةُ ؛ وَإِذَا انْتَهَزَتْ لِلْمَرَّةِ  
صِحَّتَهُ يَنْهَارُ مَعَهَا الْأَصْدِقَاءُ وَالْأَصْحَابُ : إِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ عَنْ سَاحَتِهِ بِذَهَابِ  
صِحَّتِهِ !

صَحَّتِي يَا صَحَّتِي \* صَحَّتِي يَا رَأْسَ مَالِي  
وَإِذَا فَشَتْ لِي صَحَّتِي \* أَشْ مَنْ خَبِيبَ بَقَى لِي

وَيَتَأَمَّلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبُ فِي الدُّنْيَا وَوَاقِعَهَا تَأْمَلُ الْمُفَكِّرُ الْمُتَدَبِّرُ ،  
وَيُخَاوِلُ أَنْ يَنْقُلَ الصُّورَةَ الَّتِي كَوَّنَهَا عَنْهَا إِلَى مُسْتَمْعِيهِ وَهُمْ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ  
الَّذِينَ لَا بُدَّ مِنْ تَقْرِيبِ ذَلِكَ التَّصَوُّرِ إِلَى مُتَوَاضِعِ إِدْرَاكِهِمْ ، فَيَقُولُ إِنَّهُ مَثَلُ  
الدُّنْيَا بِبَطْلِيخَةِ خَمْرَاءَ - « دَلَّاعَةٌ » - وَإِنَّ هَذِهِ « الدَّلَّاعَةُ » تَتَدَخَّرُ  
- تَتَكَزَّجُ - مِنْ بَيْنِ مَجْمُوعِ الْبَطْلِيخِ - الدَّلَّاعِ - ، وَيَا مَا أَكْثَرَ عَدَدَ الطَّامِعِينَ  
فِي مَبَاهِجِهَا الَّذِينَ التَّصَفَّقُوا بِهَا التَّصَافَقَ ، فَتَدَخَّرَتْ بِهِمْ جَمِيعًا إِلَى الْهَآوِيَةِ ،  
إِلَى بَيْتِ لَيْسَ لَهَا قَرَارُ :

الدُّنْيَا مَلَّتْهَا دَلَّاعَةٌ \* تَتَكَزَّجُ مِنْ بَيْنِ الدَّلَّاعِ  
تَمْ لَخْفُوهَا مِنْ طَمَاعِهِ \* وَزَمَتْهُمْ فِي بَيْرِ مَالٍ وَقَاعِ  
وَيَقُولُ ، بِكُلِّ بَسَاطَةٍ ، إِنَّهُ قَدْ تَأَمَّلَ الدُّنْيَا ، مَيَّزَهَا ، فَالْفَأَهَا مُجَرَّدَ غُرُورٍ ،  
وَأَنَّهَا قَدْ تَضَحَّكَ لِلْإِنْسَانِ سَاعَةً ، لَكِنَّهَا سَرَّعَانَ مَا تَنْقَلِبُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَى  
الْغُبُوسِ ( تَدُورُ ) بِحَيْثُ إِنَّ تَفَكِيرَهُ هَذَا قَدْ هَدَاهُ إِلَى حَقِيقَةِ نِفَاقِهَا :

مَيَّزَتْ                      الدُّنْيَا \* جَبَرَتْهَا                      غُرُوزُ  
تَضَحَّكَ لِلْعَبْدِ سَاعَهُ \*                      وَمَنْ                      بَعْدَ                      تُدَوِّرُ

وكلمة « جَبَرَتْهَا » بمعنى وَجَدَتْهَا أو أَلْفَيْتُهَا ...

وَيَتَأَمَّلْ هَذَا الْحَكِيمُ الشَّعْبِيُّ الْمُحَنِّكَ فِي تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ وَخِذَاعِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهَا قَرَارٌ ، وَلَا تَبْقَى عَلَى صَاحِبٍ جَاءَ أَوْ نَفُوذَ .  
فَالزَّمَنُ - فِي رَأْيِهِ - لَيْثِمٌ غَدَّارٌ ... إِنَّهُ قَدْ كَسَرَ لَهُ ذِرَاعَهُ ، أَيْ نَزَعَ عَنْهُ كُلَّ قُوَّةٍ ، كَمَا أَنَّهُ - أَيِ الزَّمَنِ - كَثِيرًا مَا أَطْلَحَ بِالْعُظَمَاءِ مِنْ سَمَاءٍ مُجْدِهِمْ وَزَفَعَ إِلَى سِنَامِ السُّودِدِ مَنْ كَانُوا مُجَرَّدَ رُعَاةٍ لِلْمَاشِيَةِ :

يَلَاذَ الزَّمَانِ يَا الْغَدَّازَ \* يَا الْمُخَسِّرِينَ مِنْ ذُرَايِي  
طَلُخْتَ مَنْ كَانَ سُلْطَانًا \*                      وَزَفَعْتَ مَنْ كَانَ رَايِي  
وَمَنْ غَيْرُ مُحَاوَلَةِ التَّغْلُّلِ فِي مَعْرِفَةِ أَصْلِ كَلِمَةٍ «عَنْقَرُ» بِالْقَابِ الْمُعْقُوفَةِ  
الَّتِي تُنْطَلِقُ مِثْلَ الْجِيمِ فِي اللَّهْجَةِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَيُصَاغُ مِنْهَا اسْمُ الْمُفْعُولِ وَاسْمُ  
الْفَاعِلِ صِفَةً أَوْ حَالًا ... قَدْ تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ غَالِبًا مَا تُسْتَعْمَلُ  
فِي الدَّارِجَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ مَقْرُونَةً بِغِطَاءِ الرُّأْسِ كَالشَّاشِيَةِ ، أَوْ الطَّرْبُوشِ ، أَوْ  
الطَّاقِيَةِ ... مَثَلًا ، فَيَقَالُ : فَلَاكُنْ «مَعَنْقَرُ طَرْبُوشُهُ» ، أَوْ «يَفْشِي مَعَنْقَرُ  
الشَّاشِيَةِ» ، أَوْ «طَاقِيَتُهُ مَعَنْقَرُهُ» ... مَسْذُولُ كُلِّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ التِّيهِ ،  
وَالْتَّبَحُّثِ ، وَالتَّدْلِيلِ ، وَالزُّهْرِ ، وَالْخِيَلَاءِ ، وَالتَّكَبُّرِ ... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ  
الرُّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ بَلَدَ الْكَلِمَةِ مَقْرُونَةً بِكَلِمَةِ «الشَّوَاهِي» ، جَمَعَ لِقَرْدِ كَلِمَةِ  
شَاشِيَةٍ ، فِي رُبَاعِيٍّ عَنِ الْمَالِ وَمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ قَلِيلِ الْمَالِ أَوْ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ،  
مَنْزِلَةِ الْإِنْسَانِ الْمُحْتَقِرِ دَائِمًا ، (مُخَقَّوْرٌ) ، وَلَا يُسَاوِي شَيْئًا فِي الدُّنْيَا . أَمَّا  
الْأَغْنِيَاءُ أَصْحَابُ الْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَزْهَوُّ لَهُمْ وَيَتَبَسَّمُ ، وَهُمْ لِذَلِكَ يَنْبَحَثَرُونَ

تِيهَا وَعُجْبًا فِي الطَّرَقَاتِ رَافِعِينَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ ، وَالشَّاشِيَّاتِ الَّتِي عَلَى رُؤُوسِهِمْ « مُعَنْقَرَةٌ » ، مَائِلَةٌ تَارَةً إِلَى الْأَمَامِ أَوْ إِلَى الْيَمِينِ وَتَارَةً إِلَى الْوَرَاءِ أَوْ إِلَى الشَّمَالِ ، مُخَالِفِينَ كُلَّ أُصُولِ الْحِشْمَةِ وَالْحَيَاءِ ، وَكُلِّ أُصُولِ اللَّبَاسِ وَالْإِنَاقَةِ ، وَمُخَالَفَاتِهِمْ لِهَذِهِ الْأُصُولِ أَوْتِكَ لَا تُحْسَبُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا هِيَ زِينَةٌ لَهُمْ مَا دَامَ الْمَالُ سِتَارَ الْعُيُوبِ :

فَلِيلُ الْمَالِ دَائِمًا مَخْفُوزٌ \* فِي ذُنُوبِهِ مَا يَسْنُوَانِي  
تُرْهُو الدُّنْيَا لِأَصْحَابِ الْمَالِ \* الَّتِي يَتَمَشَّلُونَ وَيَعْنَقُونَ الشَّوْشِي

وَأَنْتَ يَا مَنْ يَقُولُ كَلَامَ الْغَارِ فِي حَقِّ غَيْرِكَ ، وَتَعْتَابُ النَّاسَ فِي غِيَبَتِهِمْ ، وَتَكْذِبُ عَلَيْهِمْ ظُلْمًا وَجُورًا ، وَيَطُولُ لِسَانُكَ بِكَلَامِ السُّوءِ وَالْخُبْثِ فِي سَوَاكِ ، كَيْفَ تَقْرُنَ أَنَّ كَلَامَكَ الْمُرْهَآ سَيُخْلَوُ ؟ إِنَّكَ سَتَبْقَى مَتَاعًا سَاقِطًا وَشَخْصًا بَغِيضًا ، وَقَدْ تَمْرُضُ فَلَا يَزُورُكَ أَحَدٌ ، لِأَنَّ النَّاسَ سَيَتَذَكَّرُونَ عَلَى الدَّوَامِ عَارَكَ :

يَا قَائِلَ الْغَارِ \* كَيْفَاشْ يَخْلَى كَلَامَكَ ؟  
تَمْرُضُ وَلَا عُذْتَ تَنْفَازَ \* وَيَتَفَكَّرُوا النَّاسُ عَارَكَ

وَكَلِمَةُ « كَيْفَاشْ » الْوَارِدَةُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الرَّبَاعِيِّ تُعْنِي فِي اللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ ... مَذْلُولٌ « كَيْفَ ؟ » . وَتَغْيِيرُ « كَيْفَاشْ » يَخْلَى كَلَامَكَ ؟ يُعْنِي : كَيْفَ يَخْلُو كَلَامَكَ ؟ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ اسْتِغْنَائِيٌّ ، أَيْ إِنَّ كَلَامَكَ لَا يَخْلُو أَبَدًا .

وَيَتِمُّدُ تَأْمَلَاتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ ، وَتَتَعَدَّدُ مَوَاضِيعُهَا ، وَتَتَلَوَّنُ مَجَالَاتُهَا ... وَهَذَا رَبَاعِيٌّ آخَرٌ يَلِيغُ فِي مَعَانِيهِ ، وَاقِعِيٌّ فِي مَزَامِيهِ ... لَكِنْ لِأَجْلِ فَهْمِهِ جَيِّدًا يَنْعَيْنُ شَرْحُ الْأَلْفَافِ الْعَامِيَّةِ الَّتِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا :

- « المصْبُط ، ، هُوَ مَنْ يَلْبَسُ « الصُّبَّاط » فِي رِجْلَيْهِ ، أَيِ الْحِذَائَيْنِ .  
وَهَذَا اللَّفْظُ مِنَ الدُّخِيلِ الْأَجْنَبِيِّ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الدَّارِجَةِ بِبِلْدَانِ الْمَغْرِبِ  
الْمَغْرَبِيِّ . وَ« الصُّبَّاط » عَادَةً هُوَ الْحِذَاءُ أَوْ الْحِذَاءَانِ عَلَى الشَّكْلِ الْفَرَنْجِيِّ  
الْمَشْهُورِ . لَكِنَّ الْمَعْنَى هُنَا عَامٌ ، فَالْمَقْصُودُ مِنَ « المصْبُط » مَنْ هُوَ مُتَنَتِّلٌ ،  
أَيِ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ أَوْ خُفَّائِ أَوْ حِذَاءَانِ تَقْيِيهُمَا وَغَنَاءُ الْمَشْيِ عَلَى الْحَقَا .  
وَمُقَابِلُ « المصْبُط » هُوَ الْخَالِي .

- « مَادَرَى » ، أَيِ لَا يَدْرِي ، لَيْسَ عَالِمًا وَلَا غَارِفًا بِشَيْءٍ .

- « الْقَطِيفَةُ » هِيَ نَوْعِيَّةٌ مِنَ السَّجَادِ أَوْ الزُّرْبِيَّةِ مَصْنُوعَةٌ عَادَةً مِنَ  
الصُّوفِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تُسَخَّنُ مُسْتَعْمِلَهَا بِشِدَّةٍ يَفْنِيهَا وَخَرَارَتِهَا ...

فَالْحَكِيمُ الشَّاعِرُ يَقُولُ فِي الرَّبَاعِيِّ الْمُسْتَعْمَلِ عَلَى تِلْكَ الْأَلْفَاظِ : إِنَّ الشَّخْصَ  
الْمُتَنَتِّلَ حِذَائَيْنِ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَشْعُرَ بِالْأَلَمِ الَّذِي يَقَاسِيهِ الشَّخْصُ الَّذِي  
يَمْشِي خَافِي الْقَدَمَيْنِ عَلَى الْحِجَارَةِ وَالْوَحَلِ ... وَالرُّمَالِ الْحَامِيَةِ . وَالشَّخْصُ  
الْمُسْرُورُ ، الْمُرْدِّهِ ، الْفَرِحَ ، الَّذِي يَعْيشُ فِي سَعَادَةٍ وَطَمَئِينَةٍ لَا يَشْعُرُ أَبَدًا  
بِمَا فِي نَفْسِ الشَّخْصِ الْمَهْمُومِ الْحَزِينِ . وَالشَّخْصُ الَّذِي يَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ  
مُنْدَثَرًا بِقَطِيفَةٍ مِنَ الصُّوفِ الْعَالِيَةِ لِأَمْرَاءٍ فِي أَنَّهُ فِي دِفْءٍ وَخَرَارَةٍ ... أَمَّا  
الشَّخْصُ الَّذِي لَا فِرَاشَ لَهُ وَلَا غَطَاءَ ( الْعَرِيَانِ ) فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَهُ  
النُّومُ ؟

المصْبُطُ مَا نَزَى بِالْخَالِي \* وَالزَّاهِي يَضْحَكُ عَلَى الْمَهْمُومِ  
الَّذِي رَاقَدٌ عَلَى الْقَطِيفَةِ ذَاهِي \* وَالْعَرِيَانُ كَيْفَ يَجِيءُ النُّومُ ؟  
وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَى مُجَامَلَةِ النَّاسِ وَمُعَامَلَتِهِمْ بِالْحُسْنَى كَيْفَمَا اقْتَضَتْ

الضُرُورَةُ وَالْمُرْتَبَةُ ، فَتَارَةُ بِكَلِمَةِ الْخَيْرِ وَالْمَلَأُفَةِ ، وَتَارَةُ بِالْكَافَةِ الْمَادِيَةِ  
وَالْإِكْرَامِيَّاتِ ... يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوب :

أَذْهَنُ السَّيْرِ يَسِيرُ \* وَبِهِ تَزْطَلُّ لُخْرَاهُ  
النَّقَبَةُ تُجِيبُ الطَّيْرَ \* مِنْ بَابِ سُوسِ لُتَارِهِ

والإشارة في ذلك الرُّبَاعِيَّ إِلَى جِرْفَةِ الْخِرَازَةِ حَيْثُ يَتَنَاوَلُ الْخِرَازُ ، أَثْنَاءَ  
اشْتِغَالِهِ بِالْجَلْدِ ، الْخُيُوطُ ، ، وَالْجِبَالُ الْجُلْدِيَّةُ الَّتِي يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
السَّيْرُ خَيْرٌ مِمَّا لِفِعْلِ التَّلْيِينِ وَمَفْعُولِ الدُّهْنِ ، إِذْ بِهِذَا يُمَكِّنُ تَسْهِيلَ عَمَلِيَّةِ  
الْفَرْزِ وَإِدْخَالَ السَّيْرِ فِي أَثْقَابِهَا ، وَكَثِيرًا مَا نَرَى الْخِرَازَ يَسْتَعْمِلُ الشَّمْعَ  
- مَثَلًا - بِمَثَابَةِ ذَلِكَ الدُّهْنِ الْمَلِينِ فَتَحْصُلُ الرُّطَابَةُ ... وَالتَّشْبِيهُ هُنَا مِنْ  
أَجْلِ التَّعَابِيرِ : « أَذْهَنُ السَّيْرِ يَسِيرُ » ... وَهُوَ مَثَلُ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ  
مُنْذُ أَنْ أَطْلَقَهُ ذَلِكَ الْحَكِيمُ ، وَهَذَا قَوْلُهُ هَذَا بِأَنَّ الطَّائِرَ يَبْحَثُ عَنِ الْحُبُوبِ  
لِيَنْقَبُهَا مَهْمَا بَعُدَتْ الْمَسَافَاتُ . إِنَّ كُلَّ بُعْدٍ يَهْوُنُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ مَا دَامَتْ  
« النَّقَبَةُ » مُؤَكَّدَةً هُنَاكَ ... وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ « الْمَشْوَار » إِلَى قَطْعِ الْمَسَافَةِ  
الْمَوْجُودَةِ مِنْ بَابِ سُوسِ ، النَاحِيَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ ، إِلَى  
مَدِينَةِ تَارَةَ الْبَعِيدَةِ عَنْهَا جِدًّا .

بَلَّكَ ، أَيُّهَا الْجُمْهُورُ الْمُسْتَمِعُ الْكَرِيم - أَيُّهَا الْقُرَاءُ الْأَعْرَاءُ - فَذَلِكَ مِنْ  
رُبَاعِيَّاتٍ لَعَلَّهَا الْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ فِي الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ الْأَصِيلِ بِبُلْدَانِ الْمَغْرِبِ  
الْعَرَبِيِّ . إِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ وَسَائِرَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ فِي الْمَغْرِبِ ، وَالْجَزَائِرِ ،  
وَتُونِسَ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ رِوَايَتَهَا قَدْ تَتَغَيَّرُ قَلِيلًا بَيْنَ قَطْرٍ وَآخَرِ .

وَحَتَّى تَفْتَرِقَ وَنَحْنُ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاقِ لِهَذِهِ النَّمَاذِجِ الْمَنْظُومَةِ مِنَ الْأَدَبِ  
الشُّعْبِيِّ فِي هَذِهِ الْخَلَقَاتِ الْإِذَاعِيَّةِ « الْمَرْبُوطَةِ » عَرْضًا كِتَابِيًّا وَاحِدًا ، نَسُوقُ  
الرَّبَاعِيَّاتِ التَّالِيَةَ لِلشَّاعِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ ، وَنَدْعُهَا تَنْطِقُ بِنَفْسِهَا عَنْ  
نَفْسِهَا :

شَفَتُ أَهْلَ الْمَيْتِ فَاَلْمَيْتِ \* يَخْضَمُوا قَبْلَ الدِّينِ  
الْحَيِّ مَا زَالَ يَسْمَعُ \* وَاللَّيْ مَاتَ أَدَى لَفِيفِ

حَوْسَتْ شَرْقَ وَغَرْبَ \* حَتَّى لُقِيسَ لَحْصِيهِ  
بَنَزَرَتْ مَا شَفَتَ مَثَلَهَا \* الْبَحْرَ شَاقُّ الْمَدِينِ

اَتَمَنَيْتُنِي طَيْرَ وَنُطَيْرَ \* وَغَلَى جُنَاجِي تُونَسِيهِ  
أَنَحَطُ فِي نَارِ لَحَبَلٍ \* وَنُشُوفُ إِذَا سَأَلُوا عَلَيْهِ

حَبِيبِي لَغَضَبٍ وَمَا صَبَتْ لَوَطَبَ \* بَعْدَ الْمَحَبَّةِ جَفَانِي  
نَجِيبُ الْكَلَسِ وَنُصَبَ \* وَنَحْدُو بِالْقَانِي

أَرْضِيَتْ بِالْهَمِّ \* وَالْهَمُّ مَا رَضَى بِيَا  
حَطَّيْتُو عِنْدَ زَاسِي \* أَصْبَحَ لِي عِنْدَ زَجَلِيَا

الْخُبْرُ يَا الْخُبْرُ \* وَالْخُبْرُ هُوَ الْإِفَادَةُ  
لَوْ مَا كَانَ الْخُبْرُ \* مَا يَكُونُ لَا دِينَ لَا عِبَادَةَ

يَا قَلْبُ نَحْوِيكَ بِالْأَنَازِ \* وَإِذَا نَبِيتَ نَزِيدَكَ  
يَا قَلْبُ خَلَفْتُ فِي الْغَايِ \* وَتَرِيدَ مَنْ لَا يَرِيدَكَ

يَا اللَّيْمُ لَا تَلُومْنِي وَسَطَ النَّاسِ \* وَإِذَا عَيْنِيكَ فَاالْمَلَامَةُ فَرَزْنِي  
الْفَضْلُ الصَّافِيهِ وَلَأْتُ نُحْلَسُ \* وَالْأُيُوبُ الْوَاوِي يَنْفَرْنِي

يَا نَاسَ قَلْبِي تَعَمَّرَ \* وَمَا صَبَبْتُ لِمَنْ تُعِيدُو  
عَدْتُو لَنَاسٍ تَاخِرَ الزَّمَانِ \* فِي كُلِّ كَلَمَةٍ يُزِيدُو

يَا وَيْلَ مَنْ طَاخَ قَالِبِي \* وَضَعَابَ عَلَيْهِ طَلُوعُو  
فَرَزَنَ مَا صَابَ جَنَحِي \* يَبْكِي وَيَنْشَفُو ذُمُوعُو

## خَتَام

طُبِعَتْ هَذِهِ الْفَصْلَةُ بِعُتْرَانِ : رَبَاعِيَّاتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ غَيْرِ الْأَثَرِ ، ، تَأْلِيفُ عَبْدِ اللَّهِ شَقْرُونِ ، فِي مَطَابِعِ ، شَرِكَةِ فَنُونِ الرَّسْمِ وَالنَّشْرِ وَالصَّحَافَةِ ، بِالْعَاصِمَةِ التُّونِسِيَّةِ ، وَهِيَ مُسْتَحَرَّجَةٌ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي أَصْدَرَهُ الْمَوْلُفُ فِي « مَنَشُورَاتِ اتِّحَادِ إِذَاعَاتِ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ » . تَحْتَ عُنْوَانِ : الْأَنْثُ الشَّقِيقِي عَلَى أَصْوَاتِ الْإِذَاعَةِ ، ، وَتَوَلَّى طَبْعَهُ نَفْسُ الشَّرِكَةِ عَامَ 1987 بِتُونِسِ .





١٠٠  
 ١٠١  
 ١٠٢  
 ١٠٣  
 ١٠٤  
 ١٠٥  
 ١٠٦  
 ١٠٧  
 ١٠٨  
 ١٠٩  
 ١١٠  
 ١١١  
 ١١٢  
 ١١٣  
 ١١٤  
 ١١٥  
 ١١٦  
 ١١٧  
 ١١٨  
 ١١٩  
 ١٢٠  
 ١٢١  
 ١٢٢  
 ١٢٣  
 ١٢٤  
 ١٢٥  
 ١٢٦  
 ١٢٧  
 ١٢٨  
 ١٢٩  
 ١٣٠  
 ١٣١  
 ١٣٢  
 ١٣٣  
 ١٣٤  
 ١٣٥  
 ١٣٦  
 ١٣٧  
 ١٣٨  
 ١٣٩  
 ١٤٠  
 ١٤١  
 ١٤٢  
 ١٤٣  
 ١٤٤  
 ١٤٥  
 ١٤٦  
 ١٤٧  
 ١٤٨  
 ١٤٩  
 ١٥٠  
 ١٥١  
 ١٥٢  
 ١٥٣  
 ١٥٤  
 ١٥٥  
 ١٥٦  
 ١٥٧  
 ١٥٨  
 ١٥٩  
 ١٦٠  
 ١٦١  
 ١٦٢  
 ١٦٣  
 ١٦٤  
 ١٦٥  
 ١٦٦  
 ١٦٧  
 ١٦٨  
 ١٦٩  
 ١٧٠  
 ١٧١  
 ١٧٢  
 ١٧٣  
 ١٧٤  
 ١٧٥  
 ١٧٦  
 ١٧٧  
 ١٧٨  
 ١٧٩  
 ١٨٠  
 ١٨١  
 ١٨٢  
 ١٨٣  
 ١٨٤  
 ١٨٥  
 ١٨٦  
 ١٨٧  
 ١٨٨  
 ١٨٩  
 ١٩٠  
 ١٩١  
 ١٩٢  
 ١٩٣  
 ١٩٤  
 ١٩٥  
 ١٩٦  
 ١٩٧  
 ١٩٨  
 ١٩٩  
 ٢٠٠

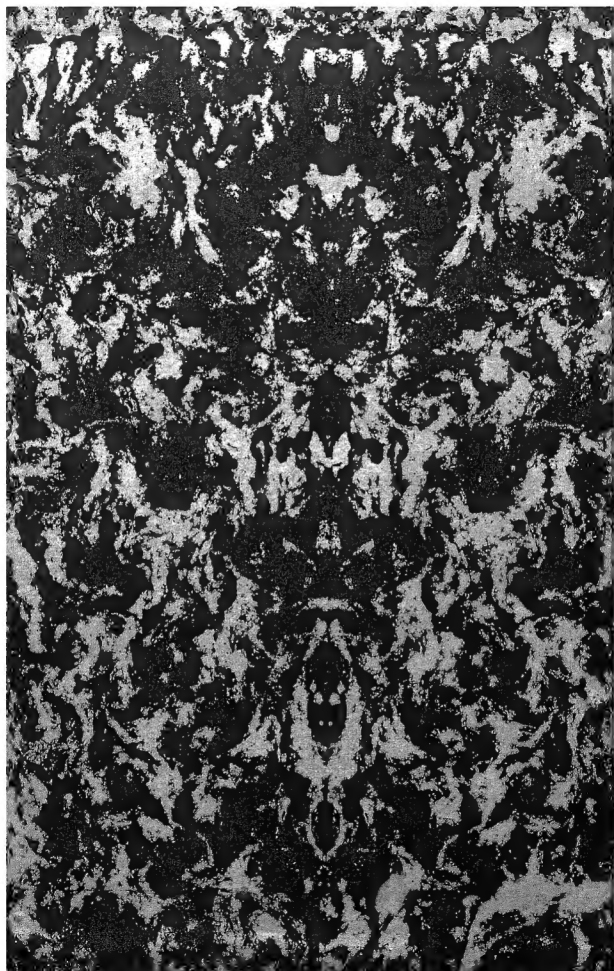
٢٠١  
 ٢٠٢  
 ٢٠٣  
 ٢٠٤  
 ٢٠٥  
 ٢٠٦  
 ٢٠٧  
 ٢٠٨  
 ٢٠٩  
 ٢١٠  
 ٢١١  
 ٢١٢  
 ٢١٣  
 ٢١٤  
 ٢١٥  
 ٢١٦  
 ٢١٧  
 ٢١٨  
 ٢١٩  
 ٢٢٠  
 ٢٢١  
 ٢٢٢  
 ٢٢٣  
 ٢٢٤  
 ٢٢٥  
 ٢٢٦  
 ٢٢٧  
 ٢٢٨  
 ٢٢٩  
 ٢٣٠  
 ٢٣١  
 ٢٣٢  
 ٢٣٣  
 ٢٣٤  
 ٢٣٥  
 ٢٣٦  
 ٢٣٧  
 ٢٣٨  
 ٢٣٩  
 ٢٤٠  
 ٢٤١  
 ٢٤٢  
 ٢٤٣  
 ٢٤٤  
 ٢٤٥  
 ٢٤٦  
 ٢٤٧  
 ٢٤٨  
 ٢٤٩  
 ٢٥٠  
 ٢٥١  
 ٢٥٢  
 ٢٥٣  
 ٢٥٤  
 ٢٥٥  
 ٢٥٦  
 ٢٥٧  
 ٢٥٨  
 ٢٥٩  
 ٢٦٠  
 ٢٦١  
 ٢٦٢  
 ٢٦٣  
 ٢٦٤  
 ٢٦٥  
 ٢٦٦  
 ٢٦٧  
 ٢٦٨  
 ٢٦٩  
 ٢٧٠  
 ٢٧١  
 ٢٧٢  
 ٢٧٣  
 ٢٧٤  
 ٢٧٥  
 ٢٧٦  
 ٢٧٧  
 ٢٧٨  
 ٢٧٩  
 ٢٨٠  
 ٢٨١  
 ٢٨٢  
 ٢٨٣  
 ٢٨٤  
 ٢٨٥  
 ٢٨٦  
 ٢٨٧  
 ٢٨٨  
 ٢٨٩  
 ٢٩٠  
 ٢٩١  
 ٢٩٢  
 ٢٩٣  
 ٢٩٤  
 ٢٩٥  
 ٢٩٦  
 ٢٩٧  
 ٢٩٨  
 ٢٩٩  
 ٣٠٠











'14  
26

Bibliotheca Alexandrina



0547180